التركمان السوريون في المنفى التركي

دراسة لإشكالية الهوية الثقافية
بعد الثورة السورية 2011

إعداد: حسام الحسون

إشراف: أ. د. زكريا قورشون

ضمن الدورة الخامسة من برنامج أبحاث: لتعميق ثقافة المعرفة









التـركمان السـوريون في المنفى التـركي

دراسة لإشكالية الهوية الثقافية بعد الثورة السورية (2011)





التركمان السوريون في المنفى التركي

دراسة لإشكالية الهوية الثقافية بعد الثورة السورية (2011)

إعداد: حسام الحسون

إشراف: أ. د. زكريا قورشون

تصميم الغلاف: إبراهيم بريمو

اللوحة المستخدمة لمهند عرابي

Orabi Mohannad | © 2012 Canvas on Media Mixed. cm 20 X 100 ORABI Mohannad

ISBN: 9 - 86 - 540 - 9933 - 978

الطبعة الأولى: 2019

دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع

سوريا - دمشق - ص ب: /9838/

هاتف-فاكس: /6133856/ 11 00963

جوال: 00971557195187

البريد الإلكتروني:

addar@mamdouhadwan.net

الموقع الإلكتروني:

addar.mamdouhadwan.net

fb.com/Adwan.Publishing.House

twitter.com/AdwanPH

اتجاهات- ثقافة مستقلة

المكتب الرئيسي:

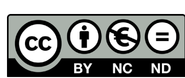
Boulevard Louis Schmidt 119, box

3,1040, Etterbeek, Belgique

البريد الإلكتروني: info@ettijahat.org

الموقع الإلكتروني: www.ettijahat.org

fb.com/Ettijahat



التركمان السوريون في المنفى التركي

دراسة لإشكالية الهوية الثقافية بعد الثورة السورية (2011)

إعداد: حسام الحسون

إشراف: أ. د. زكريا قورشون

تم إعداد هذا البحث بدعم من مؤسسة اتجاهات – ثقافة مستقلة في إطار برنامج

أبحاث: لتعميق ثقافة المعرفة / الدورة الخامسة 2017-2018

«إن الدفاع عن التنوع الثقافي واجب أخلاقي لا ينفصل عن احترام كرامة الأشخاص. فهو يفترض الالتزام باحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وخاصة حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات والمنتمين إلى جماعات السكان الأصليين. ولا يجوز لأحد أن يستند إلى التنوع الثقافي لكي ينتهك حقوق الإنسان التي يضمنها القانون الدولي أو لكي يحدّ من نطاقها».

المادة الرابعة من **الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي** الصادر عن المؤتمر العام لليونسكو في دورته الحادية والثلاثين التي عقدت في باريس 2001/11/2.

الفهرس

شكر

تعود فكرة كتابة هذا البحث إلى مدة إقامتي في تركيا ما بين عامي 2014 و2015، إذ حظيت خلال عملي مدرساً لمواد التاريخ والفلسفة في بعض المدارس السورية والدولية في مدينة إسطنبول بفرصة التعرف إلى عدد كبير من الأصدقاء والزملاء والطلاب التركمان السوريين، كما لاحظت أن أعداد التركمان السوريين كبيرة. وقد كان بعض الطلاب التركمان يطرحون علّي أسئلةً يدور فحواها حول ماهية الهوية التركمانية، ومحدداتها؛ كسؤال أحد الطلاب التركمان إن كان تركياً أو سورياً؟ أو معنى أن يكون طالب آخر سورياً أو تركياً أو تركمانياً أو مسلماً؟ وغيرها من الأسئلة المشابهة.

وضمن إطار السعي الشخصي إلى إكمال الدراسة في مرحلة الدكتوراه في تركيا، حظيتُ بفرصة التعرف إلى الأستاذ الدكتور زكريا قورشون (Prof. Dr. Zekeriya Kurşun)، أستاذ التاريخ الحديث ورئيس قسم لغات وثقافات الشرق الأوسط في جامعة مرمرة في إسطنبول، فكان أن اقترح عليّ في ذلك الوقت موضوع «التركمان في سوريا» عنواناً لأطروحة الدكتوراه، فوقعت الفكرة على اهتمام خاص مني، ونال المشروع المفترض، وبدعم من أ.د. قورشون، منحة الحكومة التركية (Türkiye Bursları)، إلا أن الظروف لم تسمح لي بمباشرة العمل على هذا المشروع، واضطررت بعد ذلك إلى مغادرة تركيا.

ولمّا بقيت فكرة العمل على المشروع عالقة في ذهني، فقد حظيت بفرصة المشاركة في الدورة الخامسة لمشروع «أبحاث: لتعميق ثقافة المعرفة» الذي ترعاه مؤسسات اتجاهات، ما أحيا العمل على قسم رئيس من هذا الموضوع المهم؛ كما مثّلت هذه المشاركة فرصة جيدة للتعرف إلى مجموعة من الأصدقاء والباحثين العاملين في/مع مؤسسة اتجاهات، أود في هذا المقام أن أشكرهم جميعاً على كل أنواع الدعم الذي قدموه لإنجاح هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور زكريا قورشون، مرتين، الأولى على اقتراحه إشكالية البحث سابقاً، منذ أيامنا في تركيا، فطوبى لها؛ والثانية على قبوله الإشراف العلمي على هذا البحث، ومتابعته علمياً، فوجب شكره.

وأشكر الصديق حسام الدين درويش، الدكتور المحاضر في قسم الدراسات الشرقية بكلية الفلسفة في جامعة كولونيا في ألمانيا على قراءته لمسودة البحث، وعلى مناقشته التفصيلية لأفكاره ومحتواه، وعلى ملاحظاته القيمة التي أثرت البحث.

كما أود أن أشكر الأصدقاء: أحمد ويس، وعماد أيوب، ورامي أيوب، وياسين درمش، وأمينة الشيخ، وبراء الشهابي، على المعلومات الغنية التي قدموها خلال اللقاءات عبر الإنترنت، وعلى إبدائهم الاستعداد للإجابة عن أي تساؤل يخص البحث في أي وقت. كما أشكر السيد صالح فاضل صالح على مداخلاته الهاتفية التي أغنت البحث، لاسيما فيما يخص المقارنة بين اللغتين التركمانية القديمة والتركية الحديثة.

مقدمة

يشكّل التركمان السوريون مكوناً اجتماعياً ثقافياً سورياً كبيراً ومهماً لم يحظ بدراسات أكاديمية ومتخصصة وافية بعد. وكثيراً ما اختلط على الباحثين المهتمين بالشأن السوري التمييز بين التركمان وغيرهم من المكونات الثقافية السورية. وقد زاد من صعوبة الأمر عدم وجود إحصاء رسمي لتعدادهم السكاني، سواء أكان ذلك خلال العصر العثماني، أم في حقبة الاحتلال الفرنسي، أم في عهد الاستقلال السوري وما بعده؛ ما فتح الباب واسعاً للتخمينات، من دون أن يخلو الأمر من مبالغات مردها دوافع سياسية، سواء أكان ذلك في تقزيم الرقم أم في تضخيمه والمبالغة فيه.

كان لانطلاق الثورة السورية في عام 2011، وتعاظم التنافس السياسي الإقليمي والدولي على سوريا، وتأجج حدة الاستقطابات العرقية والطائفية والمذهبية في منطقة الشرق الأوسط بصورة عامة، وفي سوريا بصورة خاصة، وغيرها من عوامل، أن لعبت دوراً مهماً في إحياء سؤال الهوية لدى عموم السوريين، لا سيما بعد تهجير قسم عظيم منهم إلى خارج سوريا ومكابدتهم معاناة اللجوء والنفي. وتبوأت تركيا المركز الأول ضمن ترتيب البلدان التي استقبلت اللاجئين السوريين، ومنهم التركمان بطبيعة الحال. وبحسب البيانات المرفوعة على موقع البوابة التنفيذية للاجئين (The Refugees Operational

Portal) التابع للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين UNHCR بتاريخ 10 كانون الثاني 2019 فقد بلغت أعداد اللاجئين السوريين في تركيا 3,622,472، وهذا يقارب ضعف عدد اللاجئين السوريين المتواجدين في لبنان (948,849) والأردن (671,551) والعراق (252,526) مجتمعة[1].

تنبثق إشكالية هذا البحث من فرضية أن التهجير القسري والمفاجئ لمعظم التركمان السوريين إلى تركيا قد جعل سؤال الهوية لديهم أكثر حضوراً في المنفى التركي، ما يطرح السؤال الإشكالي الآتي: ما مدى إسهام تجربة المنفى التركي في إحياء السؤال الذاتي عن الهوية الثقافية لدى التركمان السوريين، لاسيما لدى الجيل الأصغر سناً منهم، ممن يفترض أن هذه التجربة الطويلة نسبياً قد أثرت بقوة في تشكل وعيهم الاجتماعي والثقافي والسياسي؟ وبدورها، تستحضر محاولة الإجابة عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الأخرى تتمحور حول أصول التركمان السوريين العرقية؛ وتاريخ استقرارهم في المنطقة عامة، وفي سوريا خاصة؛ وإشكالية تعدادهم السكاني؛ وخصائص هويتهم الثقافية، ولغتهم التركمانية؛ وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في سوريا قبل الثورة؛ وتوزعهم الديمغرافي على امتداد المحافظات السورية؛ وصولاً إلى انطلاق الثورة السورية في عام 2011، ومن ثم الحرب في سوريا وظروفها، حيث أُجبر القسم الأعظم منهم على اللجوء إلى تركيا، إلى «وطن الأجداد» كما يحلو لبعض التركمان السوريين تسميتها، هذه التسمية تحمل بدورها مغالطة تاريخية ضمنية؛ إذ تفيد الحقيقة التاريخية بأن العنصر التركي الذي قدم من آسيا الوسطى قد استوطن في العراق وسوريا الحاليتين قبل تركيا الحالية ذاتها.

---

(1) لتفاصيل وإحصاءات أخرى تخص اللاجئين السوريين في بلدان الجوار السوري أنظر موقع البوابة التنفيذية للاجئين على الرابط: https://goo.gl/1LGZfe، تاريخ المعاينة: 2019/1/19.

بناء على ما سبق، يهدف البحث إلى تقديم تصور عام عن التركمان السوريين بوصفهم مكوناً ثقافياً مهماً ضمن الموزاييك الثقافي السوري المتنوع، ويسعى إلى رصد التحولات التي تطرأ على هويتهم الثقافية في المنفى التركي؛ ما قد يسهم في سد الثغرة التي تكتنف الدراسات العربية حول هذا الموضوع المهم الذي ما زال يتفاعل باستمرار ضمن الأزمة السورية الحاضرة.

اعتمدت هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي بشقيه: الوصفي، فيما يخص عرض المعلومات العامة؛ والتحليلي والنقدي، للإجابة عن الأسئلة الإشكالية، بما يتضمن جمع المعلومات بصورة أولية، ومن ثم تحليلها، ونقدها من خلال التثليث، وإعادة تركيبها. وركن البحث إلى مجموعة من المصادر والمراجع والأبحاث والتقارير المنشورة باللغات العربية والإنكليزية والتركية، لا سيما فيما يخص القسم الأول من البحث الذي يتناول تاريخ التركمان وأوضاعهم في سوريا قبل الثورة السورية، ويمكن الاطلاع على الوصف المقتضب لأهم هذه المصادر والمراجع في ملاحق البحث.

وكنا قد نوينا، قبل الشروع في هذا العمل، السفر إلى مدينة إسطنبول، لإجراء سلسلة من اللقاءات الشخصية المباشرة مع عدد من التركمان السوريين فيها، إلا أن الفكرة ألغيت لصعوبات عدة. وجرى التعويض عنها -ما أمكن- بإجراء مقابلات عبر مواقع التواصل الاجتماعي. وقد تم تحضير مجموعة من الأسئلة لطرحها على من ستجرى اللقاءات معهم[1].

وقد أتاحت لنا هذه المقابلات مصادر حية ومباشرة، وقدمت معلومات أولية في حاجة إلى تحليل، ونقد، وربط بالسياق الزماني والمكاني لحدوثها، وهي تمثل خلاصات تجارب إنسانية حية، تفاعلت سابقاً مع محيطها التركماني والعربي في سوريا من جهة، ومع محيطها التركي والعربي في تركيا لاحقاً من

---

(1) يمكن الاطلاع على قائمة الأسئلة في ملاحق البحث.

جهة أخرى؛ وتم التعامل مع المعلومات المستخلصة من هذه المقابلات حسب منهج دراسة الحالة، فأغنت القسم الثاني من البحث الذي يتناول أوضاع التركمان السوريين في المنفى التركي بعد انطلاق الثورة السورية[1]. أما عن معايير انتقاء هذه الشخصيات فقد تنوعت بما يفيد إغناء البحث بطبيعة الحال. وتعرض دراسة الحالة الأولى تجربة شخصية في الحقلين الذين برع فيهما التركمان السوريين في تركيا وميّزهما عن غيرهم من اللاجئين السوريين، الأول: الترجمة من وإلى العربية والتركية، والثاني: تعليم اللغة التركية لأقرانهم من اللاجئين غير الناطقين بها؛ أما الحالة الثانية فهي تمثل تجربتين شخصيتين في عائلة واحدة ولكنهما ينتميان إلى جيلين مختلفين، أي الآباء والابناء، بما تفيد تبيان الاختلافات الواقعة بين تجارب جيلين من التركمان السوريين؛ أما الحالة الثالثة فتعرض عينة من الجيل الفتي، ممن ولد في سوريا، وشب في المنفى التركي، ممن يفترض أن بيئة المنفى والاحتكاك اليومي مع الأتراك والسوريين على حد سواء، اختلاف أعراقهم ومذاهبهم وثقافتهم، ستنعكس على طريقة حياته ونمط تفكيره ورؤيته الذاتية لهويته التركمانية السورية؛ أما الحالة الرابعة فأريد لها أن تعرض عينة من التعايش بين سوريين تركمان وعرب سواء أكان الأمر في سوريا سابقاً أم في تركيا لاحقاً، بما يفيد رصد التغييرات المفترض حدوثها نتيجة تغير الظروف والأحوال واكتساب التجارب الجديدة في المنفى التركي.

وأخيراً، قد تغفر حداثة العمل على هذا الموضوع، وتركيزه على الجوانب الثقافية والاجتماعية، أوجه القصور المحتملة فيه، ما يوجب تقديم الاعتذار الضمني عنها للقارئ الكريم، مهتماً كان أم متخصصاً.

---

(1) يمكن الاطلاع على العينات التي تم اختيارها في ملاحق البحث.

تمهيد

التركمان فرع من الشعوب التركية تعود أصولهم إلى منطقة آسيا الوسطى. وقد عرفوا بهذا الاسم ابتداءً من القرن الحادي عشر الميلادي عندما انفصلت إحدى أكبر القبائل التركية، الأوغوز (Oguz)، عنهم، واعتنقت الإسلام، ليطلق على من أسلم منهم تسمية «ترك إيمان»، أي «الأتراك المؤمنين»، تمييزاً لهم عن باقي الأتراك الذين لم يعتنقوا الإسلام وبقوا على دياناتهم القديمة،[1] وقد حوِّرتْ هذه التسمية مع مرور الوقت إلى «تركمان» تسهيلاً للفظ.[2] وقد شكك بعض المؤلفين في نسب التركمان، وحاولوا نسبهم إلى قبائل بلاد فارس التي استوطنت تركستان، وبأن أصل كلمة تركمان هي «توكمنان»، أي «شبه الترك» بالفارسية؛ إلا أن هذه الفرضية لم تجد ما يؤكدها أو حتى ما يرجح صحتها[3].

ويمكن التمييز بين مجموعتين رئيستين من الأتراك الأوغوز؛ تضم المجموعة الأولى تركمان آسيا الوسطى وإيران، في حين تشمل المجموعة الثانية التركمان

---

(1) تعد الشامانية من الديانات التي كانت سائدة بين أتراك آسيا الوسطى، وتقضي بعبادة الأسلاف، وتعترف بالإله العظيم «تانرى» (بالتركية Tanrı)؛ ومن الديانات الأخرى التي كان أتراك آسيا الوسطى يدينون بها البوذية والزرادشتية. انظر: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، مطبعة تركماني، دمشق، 2004، ص15.

(2) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص15.

(3) التميمي رفيق، بهجت محمد، ولاية بيروت، مطبعة الاقبال، بيروت، 1914، ج2، ص21-22.

العراقيين والسوريين[1]. وأكبر تجمعين للتركمان في بلدان منطقة الشرق الأوسط هما تركمان العراق وتركمان إيران[2].

يتحدث التركمان بلغتهم التركمانية التي تختلف لهجاتها على امتداد توزعهم في الشرق الأوسط[3]. وقد عرفوا في العصور الوسطى بالشجاعة والفروسية والمهارات القتالية وإجادة استخدام الأسلحة، وأسسوا ممالك عدة وسلطنات كبرى، منها على سبيل المثال: الغزنوية والخوارزمية والسلجوقية والزنكية والعثمانية[4].

ويمكن القول إن هجرة الأوغوز إلى بلاد فارس في القرن الحادي عشر هي أول عملية استيطان جماعية لشعب تركي في الشرق الأوسط. وقد سبقها استقرار المماليك التركمان في البصرة في العراق خلال الخلافة الأموية في القرن السابع، كما جرى تجنيد أعداد منهم في صفوف الجيوش الإسلامية خلال العصر العباسي[5]، لكنهم عاشوا في الحاميات العسكرية بشكل منفصل عن السكان المدنيين[6]. وخلال ضعف الخلافة العباسية في القرن العاشر الميلادي نشأت دول صغيرة بمساعدة العشائر التركمانية. وتمكنت بعض العشائر التركمانية في بعض الحالات من الاستيلاء على السلطة، وإنشاء سلالات محلية، أبرزها الدولة السلجوقية[7].

---

(1) Anna Melman, “Turkic Minorities” in *The Middle East: a guide to politics, economics, society, and culture*, eds. Barry Rubin, New York: M.E. Sharpe, 2012, p. 527.

(2) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، المؤسسة العربية، بيروت، 2003، ص132.

(3) Melman, “Turkic Minorities”, p. 527.

(4) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص18.

(5) التميمي رفيق، بهجت محمد، ولاية بيروت، سبق ذكره، ج2، ص21-22

(6) Melman, “Turkic Minorities”, p. 527.

(7) Ibid, p. 527.

وقد تناول المؤرخ الإسلامي ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ أخبار التركمان، وأمرائهم، وأملاكهم، وحشودهم، ومآثرهم، والأماكن التي كانوا يقطنوها، لاسيما في بلاد الشام والعراق والأناضول، في مواضع عدة من كتابه؛ كما سجل دورهم الكبير في القتال إلى جانب العرب ضد البيزنطيين، ومن ثم ضد الصليبيين، إضافة إلى ذكر الاضطرابات التي كانت تنشأ بين حين وآخر جراء تعدي مجموعات منهم على إحدى المناطق أو القبائل الأخرى[1]. ويلاحظ مما كتبه ابن الأثير أن أعدادهم كانت كبيرة نسبياً[2].

ويُعد السلطان السلجوقي ألب أرسلان (Alp Arslan) من أبرز القادة التركمان في التاريخ الإسلامي، وهو صاحب الانتصار الكبير على الروم البيزنطيين في معركة ملاذ كرد (Battle of Manzikert) عام 1071م، وهي المعركة التي أفضت إلى أسر الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينيس[3] (Romanos IV Diogenes) في سابقة فريدة من نوعها سجلها التاريخ الطويل للحروب العربية-البيزنطية.

كما قدمت العشائر التركمانية مساعدات كبيرة في الدفاع عن مدن بلاد الشام ضد الصليبيين، واستنجد ببأسهم الأمراء والسلاطين[4]، إذ دخلوا في خدمة

---

(1) أول ذكر للتركمان في الكامل في التاريخ يصادف سنة 396 (1005-1006م) حيث أشار ابن الأثير إلى «التركمان الغزية» (الأوغوز)، ليستمر بعدها ذكر التركمان بكثافة حتى العام الأخير (1231م) من هذا المصدر التاريخي.

(2) يمكن للقارئ أن يلاحظ استخدام ابن الأثير في الكامل في التاريخ بعض المفردات إلى جانب ذكر «التركمان» تفيد كثرة عددهم، مثل: «جمع كبير-»، أو «حشد كبير-»، أو «عساكر كثيرة-»، أو «خلق كثير من التركمان» الخ...

(3) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص26.

(4) من ذلك أن بطل الحروب الصليبية نور الدين محمود (الشهيد) قد مني في إحدى معاركه بالهزيمة على يد الأمير جوسلين، وكان من فرسان الصليبيين ويسيطر على أراضٍ واسعة تمتد ما بين أعزاز وعنتاب ومرعش وأنطاكية، فما كان من نور الدين إلا أن اجتمع =

جيوش الأيوبيين في قتال الصليبيين، لاسيما في معركة حطين 1187م، ومن ثم في خدمة المماليك في قتال الصليبيين والمغول، لا سيما في معركة عين جالوت 1260م.[1] وفي القرن الثالث عشر غزا المغول بلاد فارس والعراق وقهروا الكثير من العشائر التركمانية فيها، ما تسبب في تهجير المزيد منهم باتجاه سوريا الحالية والأناضول، فاستقر نحو أربعين ألف تركماني في حلب وما حولها. ومع حلول النصف الثاني من القرن الثالث عشر، أصبح شمال سوريا منطقة رئيسة للاستيطان التركماني[2].

= ببعض أمراء التركمان طالباً منهم المساعدة، ليتمكنوا بعد ذلك من إيقاع جوسلين في كمين وأسره، «فكان ذلك من أعظم الفتوح، لأنه كان شيطاناً عاتياً، شديداً على المسلمين، قاسي القلب». انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط4، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج9، ص369-370.

(1) راجع: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص69-70.

(2) Melman, “Turkic Minorities”, p. 527-528.

الفصل الأول:

التركمان السوريون في سوريا
قبل الثورة السورية 2011

يدرس هذا الفصل المكون الثقافي التركماني السوري بصورة عامة، ويتناول المراحل التاريخية لاستقرار التركمان في سوريا الحالية منذ القرن الحادي عشر الميلادي؛ ومن ثم يعرض خصائص هويتهم الثقافية، ويرصد أوضاعهم المعيشية ومناطق توزعهم على امتداد الجغرافية السوريا، بما يفيد رسم تقديم تصور عام عن أوضاعهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية قبيل انطلاق الثورة السورية، ومن ثم لجوئهم إلى تركيا.

أولاً- مراحل استقرار التركمان في سوريا وإشكالية تعدادهم السكاني

استقرت عشائر الأوغوز في سوريا الحالية على امتداد خطين رئيسين، يمتد الأول عبر مدن سوريا الداخلية الأهم: حلب، وحماة، وحمص، ودمشق، حيث استقرت عشائر بيات (Bayat)، وأفشار (Avşar)، وبديلي (Beğdili)، وأُغر (Öğer)[1]؛ في حين يوازي الخط الثاني الساحل السوري من اللاذقية إلى طرابلس، حيث استقرت عشائر أخرى على السفوح الغربية لجبال العلويين[2].

ومن أسباب استقرار بعض العشائر التركمانية في هضبة الجولان، توطينهم

(1) الأسماء مكتوبة باللغة التركية.

(2) Ali Öztürkmen, Bilgay Duman and Oytun Orhan, “Suriye’de Değişimin Ortaya Çikardiği Toplum: Suriye Türkmenleri” (تركمان سوريا: المجتمع الذي أظهره التغيير في سوريا) ORSAM Report No: 83 (Ankara: Center for Middle Eastern Strategic Studies/ORSAM, March 2013), p. 6.

خلال الحكم السلجوقي في هذه المنطقة الاستراتيجية خلال القرن الثاني عشر الميلادي، للوقوف في وجه الصليبيين الذين نجحوا في تأسيس ممالك وإمارات صليبية على امتداد الساحل السوري بين أواخر القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الميلاديين[1].

كما جرى توطين قسم من العشائر التركمانية خلال العصر العثماني في منطقة ريف الرقة الحالية، بغية التصدي لهجمات عشائر قبيلة عنزة التي تسببت في دفع كثير من سكان المنطقة للهجرة إلى الأناضول. كما تم توطين قسم منهم في بعض مناطق جنوب سوريا، للاستعانة بهم في حماية طريق الحج وقوافله من نهب بعض العشائر البدوية[2].

وفي أواخر العصر العثماني، هاجرت عائلات من عشائر اليورك (بالتركية Yörük)[3] من الأناضول إلى بلاد الشام، واستقرت في الجولان في منطقة عين عيشة، كما سكن قسم منهم في قرى الجويزة وعين زيوان والفحام والغسانية والقنيطرة وغيرها، وأُطلقت عليهم تسمية «تركمان اليورك»[4]. وكانت خصوبة الأراضي وتوافر المياه والمراعي في الجولان من الأسباب المهمة التي شجعتهم على الاستقرار في هذه المنطقة، لا سيما أن ذلك يتناسب مع طبيعة حياتهم الرعوية في ذلك الوقت[5].

وفي أواخر الحرب العالمية الأولى سيطرت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل بن حسين على حلب والشمال السوري واضعة حداً للإدارة العثمانية فيها، إلا أن الاهتمام التركي بسوريا وبالتطورات فيها قد استمر خلال حقبة الانتداب

---

(1) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص12.
(2) Öztürkmen, Duman ve Orhan, "Suriye'de Değişimin," p. 7.
(3) تسمية «يورُك» أو «يوروك» مشتقة من الفعل التركي Yürümek، ويعني «أن يمشي»، بما يفيد أنهم كانوا من البدو الرحل الذين على كانوا على ترحال دائم.
(4) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص12.
(5) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص73.

الفرنسي على سوريا (1920-1946)، إذ نصت المادة السابعة من معاهدة أنقرة 1921 -التي أنهت الحرب بين فرنسا وتركيا- على اعتراف فرنسا باللغة التركية كلغة رسمية للتركمان السوريين وضمان حقوقهم الاجتماعية والثقافية[1].

وحّد النضال الوطني ضد الاحتلال الفرنسي التركمان والعرب في سوريا، واجتذب بعض قادة المقاومة الشعبية التركمانية اهتمام مصطفى كمال أتاتورك ودعمه[2]، من أمثال أحمد نابغلي (Ahmet Nabğalı)، ونويران أوغوز (Nüveyran Oğuz) وكارجن تريكان بولات دشّو (Kargen Tirken Polat Dişşo) الشهير بلقب رفيق السلاح، في حلب؛ وسوهدا آغا (Suhta Ağa) ونورس آغا (Nevres Ağa) في اللاذقية[3].

عومل التركمان بعد استقلال سوريا عام 1946 باعتبارهم مواطنين سوريين من دون أن يكون لهم وضع خاص بصفة أقلية ذات خصوصية ثقافية[4]. وشارك بعض الفلاحين التركمان في الحركة الفلاحية المضادة للإقطاع في أواخر أربعينيات القرن العشرين، وحصل بعضهم على ملكية الأراضي التي يزرعونها، شأنهم شأن غيرهم من أقرانهم السوريين[5]. وأظهر بعض التركمان السوريين

---

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 7-8.

(2) تلقت الثورات السورية (من بينها ثورة إبراهيم هنانو) في الشمال السوري دعماً من الأتراك الذين كانوا يحاربون ضد الفرنسيين بدورهم ضمن حرب الاستقلال التركية (1919-1923) تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك، عندما قاد الأخير المقاومة التركية ضد الاحتلال الأوروبي لأجزاء واسعة من تركيا الحالية عقب هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، إلا أن دعم تركيا للثوار السوريين توقف في نهاية المطاف عقب توقيع اتفاقية انقرة بين تركيا وفرنسا في 20 تشرين الأول عام 1921 تاركة إياهم تحت رحمة القوات الفرنسية.

(3) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 7.

(4) Melman, “Turkic Minorities”, p. 530.

(5) الحوراني أكرم، مذكرات أكرم الحوراني، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص1195. ويذكر الحوراني نفسه أنه قام بتوزيع أراضي قرية حرمل وتسجيلها باسم فلاحيها التركمان.

بطولات كبيرة ضد الاحتلال الإسرائيلي في الجولان السوري في حرب 1967، واستشهد عدد كبير منهم دفاعاً عنه[1].

وقد قدرت الباحثة في الدراسات الإسلامية أنّا ملمان (Anna Melman) أعداد السكان ذوي الأصول التركية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وإيران بنحو 30 مليون شخص (صدرت دراستها عام 2012)، حيث يشكل التركمان 2% من سكان إيران البالغ عددهم 68،9 مليون نسمة؛ وهم يعيشون أساساً على الزراعة وتربية الحيوانات، ويقيمون في تبريز وطهران. وفي العراق، يشكل التركمان مع الآشوريين 5% من سكان البلاد البالغ عددهم 22 مليون نسمة، ويعيش معظمهم في كركوك وبغداد والموصل، وتذكر ملمان أن عددهم قليل في سوريا من دون أن تعطي رقماً واضحاً[2]. ويقدر الباحث سليم مطر عدد التركمان في سوريا بأقل من 100 ألف نسمة (صدر كتابه في عام 2003)[3]. وفي المقابل يبالغ كثير من الباحثين في أعداد التركمان في سوريا، من ذلك القول بأن عدد التركمان في بداية القرن العشرين كان يقارب المليون نسمة[4]. وهناك من يرفع الرقم إلى ما يقارب من 3،5 مليون، ويشمل هذا الرقم مليون ونصف من التركمان السوريين الذين ما يزالون يتحدثون لغتهم التركمانية، إضافة إلى مليونين من التركمان الذين لم يعودوا يتحدثون بها[5].

---

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 7.

(2) Melman, “Turkic Minorities”, p. 527.

(3) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص132.

(4) انظر الدراسة التي أعدها مركز أورسام: Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” 8.

(5) أورد هذه الأرقام الباحث علي أوزتركمان، وهو تركماني سوري. خلال مقابلة أجريت معه ضمن إطار دراسة أعدها الباحث التركي أويتون أورهان (Oytun Orhan) تحت عنوان: التركمان السوريون- الحركات السياسية والهيكل العسكري في: =

ومن أسباب عدم وجود إحصاء دقيق لأعداد التركمان السوريين استعراب عدد كبير منهم[1]، وتناثرهم في جغرافيا واسعة جداً في سوريا[2]. ولا يقتصر الأمر على مرحلة الانتداب الفرنسي، أو عهد الاستقلال وما بعده، وإنما يتعداه إلى زمن السلطنة العثمانية؛ إذ أن عددهم قد بقي مجهولاً في الوثائق العثمانية أيضاً، حيث اعتمدت عملية الإحصاء في ذلك الوقت معيار الدين أو المذهب للتصنيف، وفي هذه الحالة جرى إحصاء التركمان مع غيرهم من المسلمين تحت بند «إسلام»[3].

ثانياً- الهوية الثقافية لتركمان سوريا

يتشابه التركمان السوريون في عاداتهم وتقاليدهم ومطبخهم ومسكنهم وملبسهم مع أقرانهم السوريين، وذلك تبعاً للمنطقة الجغرافية التي يعيشون فيها. ويرى بعض المهتمين بالشأن التركماني في ذلك اندماجاً ناجحاً للتركمان في المجتمع السوري، ويبني -بناءً على هذا التصور- الدليل على تسامحهم وعدم تعصبهم ورواج ثقافة الانفتاح على الآخر في أوساطهم، إلا أن هذا التصور مبني بالأساس على فرضية خاطئة، فحواها أن التركمان قد وفدوا حديثاً على المجتمع السوري، ومن ثم اندمجوا فيه، كما هو حال بعض الأقليات السورية الأخرى التي قدمت إلى سوريا حديثاً -نسبياً- كالأرمن والشركس.

= Oytun Orhan, "Syrian Turkmens: Political Movements and Military Structure", ORSAM Report No: 150 (Ankara: Center for Middle Eastern Strategic Studies/ORSAM, March 2013), p. 20.

(1) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص132.

(2) Orhan, "Syrian Turkmens," p. 19.

(3) للاطلاع على نموذج من هذه الإحصاءات السكانية انظر على سبيل المثال: سالنامه ولاية حلب للعام 1324هـ (1906م)، ص229.

وفي رأينا أن مئات السنين من العيش المشترك بين العرب والتركمان وغيرهم من المكونات الأساسية في المجتمع السوري قد أنتجت هذه الأشكال المتشابهة من العادات والتقاليد على امتداد الجغرافيا السورية. وليست القضية هنا «من» اندمج في «من»، وإنما الكيفية التي أنتجت هذا الاندماج البيني الذي أخذ كل طرف دوراً فاعلاً فيه على مر السنين.

ولا ننسى أن مئات السنين من الحكم العثماني قد لعبت دوراً مهماً في توحيد هذه الصيغ الاجتماعية والثقافية بين العرب والتركمان، خاصةً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن العرب والأتراك قد مثّلوا سابقاً القوميتين الأبرز في الدولة العثمانية، وأن معايير الإحصاء السكاني خلال العصر العثماني كانت تقوم على أسس دينية ومذهبية، وليست عرقية، وضمن هذه المعايير تم توحيد مختلف المكونات الثقافية المسلمة تحت بند «إسلام».

وقد لعب الدين والمذهب بدورهما دوراً مهماً في تقارب العادات والتقاليد بين التركمان وغيرهم من السوريين، إذ يدين التركمان السوريون بالإسلام، وتتبع غالبيتهم العظمى المذهب السني. وتدينهم هو أقرب إلى الإسلام الشعبي السوري (إن جاز التعبير) في شكله المتسامح غير المتشدد أو المتعصب. وحقيقة أن غالبية العرب والتركمان في سوريا الحالية هم مسلمون على المذهب السني تُقوّي فرص اللقاء البيني في المناسبات الاجتماعية والدينية، وتسهّل التزاوج والتصاهر فيما بينهم، بما يصب في نهاية المطاف في تعزيز الأنماط المتشابهة في العادات والتقاليد وأسلوب الحياة.

ويشكل الإسلام العنصر الأهم في الهوية التركمانية السورية، متقدماً على الهوية التركمانية والسورية[1]. وفي حين تتبع الغالبية المطلقة من التركمان السوريين المذهب السنّي، ينتمي عدد قليل منهم إلى علويي الأناضول الأتراك[2].

(1) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 20.

(2) قد يلتبس على القارئ التمييز بين العلوي التركي الذي يطلق عليه بالتركية تسمية =

كما حافظ تركمان محافظة حلب على هيكلهم القبلي، حيث أن لديهم بنية عشائرية لا يمكننا أن نراها في مناطق التركمان الأخرى[1].

ويخلط بعض الباحثين بين الأقليات المسلمة السنيّة، كالأكراد والتركمان والشركس، فيقدمها في بوتقة واحدة كجزء من الأغلبية المسلمة السنية في سوريا، ومن ثم يفترض امتلاك هذه البوتقة، بمجملها، تطلعات سياسية مختلفة عما تعمل عليه الأغلبية العربية السنية[2].

كما اختلط على بعض الباحثين تمييز التركمان عن غيرهم من المكونات الثقافية في المجتمع السوري، ومن ذلك ما وقع فيه الباحث سعد الدين إبراهيم عندما خلط من دون تمييز بين الشركس والتركمان، فأضافهم إلى الشركس، ومن ثم قدمهم للقارئ على أنهم جماعة إثنية واحدة لجأت من جنوب روسيا ومناطق الحدود التركية-الروسية نتيجة الحروب بين روسية القيصرية والسلطنة العثمانية في القرن التاسع عشر[3]. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى النظر إلى تركمان سوريا على أنهم امتداد لتركيا، سواء أكان ذلك في زمن الاحتلال الفرنسي لسوريا أو في العهود اللاحقة[4].

يتحدث التركمان السوريون التركمانية والعربية. وتستند اللغة التركمانية

= «ألفي» (Alvi = علوي) وبين العلوي العربي السوري. فرغم تشابه اللفظ إلا أن الطائفتان مختلفتان، حيث يطلق على العلويين السوريين في تركيا «نصيرية» أو «علويين عرب» تمييزاً لهم عن العلويين الأتراك.

(1) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 20.

(2) انظر مثلًا:

Stephan Rosiny, “Power Sharing in Syria: Lessons from Lebanon’s Experience” (Hamburg: German Institute of Global and Area Studies/GIGA, May 2013), p. 19.

(3) انظر: إبراهيم سعد الدين، الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي، دار ابن رشد، القاهرة، 2018، ص103.

(4) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 24.

إلى اللغة العثمانية القديمة استناداً كبيراً، وتقارب اللهجة التركية المحكية في الأناضول حالياً[1]. وقد يخلط المرء بين اللغة التركمانية والتركية الحديثة، إلا أنهما لغتان مختلفتان، على الرغم من التشابه الكبير بينهما. فاللغة التركية الحالية هي لغة حديثة لا يزيد عمرها عن المئة عام، وقد انفصلت عن اللغة العثمانية القديمة. ففي عهد الجمهورية التركية (بدأ عام 1923) حصل تطور بنيوي في اللغة التركية تجلى في تغيير الحروف التي تكتب بها من العربية إلى اللاتينية؛ ومن ثم جاء التغيير الكبير الثاني، وهو عملية فلترة اللغة التركية من اللغات الشرقية الأخرى عموماً، ومن العربية تحديداً، عبر تنحية مفردات هذه اللغات ما أمكن، والاستعاضة عنها بالتركية إن وجدت، وذلك بالتوازي مع إدخال كلمات ومصطلحات جديدة من اللغات الأوروبية[2]، ما جعل اللغة التركية الحديثة تختلف مع تقادم الزمان عن التركمانية شكلاً ومضموناً، لاسيما في غرب تركيا، من دون أن يلغي ذلك جانب كبير من التقاطعات الواضحة بين اللغتين. إذ يمكن للتركماني القادم من بلدة الراعي أو جرابلس في شمال حلب أن يتكلم بلغته في ولاية أضنة أو ولاية غازي عنتاب أو ولاية العثمانية في تركيا[3]، بحيث تفهم لغته بصورة تامة تقريباً، ولكن الأمر يختلف إن ذهب إلى أزمير أو إسطنبول، المدن الأبرز في غرب تركيا[4].

نظراً لغياب التنظيم الذاتي على أسس اجتماعية أو سياسية لسنين طوال ما قبل الثورة السورية، وحياة التركمان السوريين بمعزل عن التأثير التركي المباشر،

---

(1) الحسون حسام، عن التركمان السوريين وأوضاعهم في اسطنبول، سبق ذكره.

(2) الحسون حسام، التركمان السوريون واللغة التركمانية، حديث هاتفي أجري مع صالح فاضل، [د.ن]، 2018.

(3) ولاية العثمانية: إحدى التقسيمات الإدارية التركية المعاصرة. تقع شمال ولاية هاتاي.

(4) الحسون حسام، التركمان السوريون واللغة التركمانية، حديث هاتفي أجري مع صالح فاضل، [د.ن]، 2018.

فقد واجه التركمان السوريون -ممن لم يتعربوا بعد- احتمال زوال لغتهم الأم، أي زوال الحامل الأهم لهويتهم الثقافية[1]. وعليه، فإنه ليس من المستغرب أن يجهل قسم كبير من أبناء التركمان أنفسهم ما تعنيه كلمة «تركمان» مع تقادم الزمن، إذ لم يسمح بتدريس اللغة التركمانية في مدراسهم، بالتوازي مع انعدام تمثيلهم رسمياً على أساس خصوصية هويتهم الثقافية[2].كما يأخذ بعض المهتمين بالشأن التركماني ندرة وجود شخصيات تركمانية شهيرة في السلطة أو الحكومة أو المناصب الرفيعة كدليل على الحيف الواقع بحقهم.

هناك ارتباطٌ وثيقٌ بين الهويّة واللغة[3]. ويعترف القانون الدولي بحق الأقليات اللغوية بتأسيس مدارس خاصة لها، حيث يتُاح لهم التدريس بلغتهم الخاصة، وإدارتها، بصرف النظر عن السّياسات التعليمية العامة للدولة التي تعيش فيها هذه الأقليات. ولا يقتصر الأمر على شؤون التعليم وإنما يتعداه إلى مجالات القضاء، والإعلام، والخدمات الإدارية والصحية، والمشاركة في الحياة العامة كحق الدعاية الانتخابية والتواصل مع جمهور الناخبين بلغتها[4].

ويرى الخبير اللغوي عبد القادر الفاسي الفهري المشكل التّعليمي كانعكاس لاختيارات لغويةٍ أساسها سياسي، تخدم مصلحة نظام سياسي معيّن، وغالباً ما تغيب فيه علاقة التّعاقد بين الحاكم والمحكوم. وقد يكون أساس تلك الاختيارات اللغويّة اقتصاديّاً؛ إذ تتحكّم فيه مصلحةُ فئةٍ اجتماعيّةٍ مهيمنةٍ، تستفيد من

---

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, "Suriye'de Değişimin," p. 6.

(2) Orhan, "Syrian Turkmens," p. 20.

وأشير هنا إلى أن معظم الذين أجريت معهم مقابلات قد التبس عليهم تحديد ما تعنيه كلمة «تركمان».

(3) حنفي حسن، الهوية والاغتراب في الوعي العربي، في مجلة تبين، العدد 1، صيف 2012، ص9.

(4) للمزيد راجع: الأمم المتحدة - المقررة الخاصة التابعة للأمم المتحدة والمعنية بقضايا الأقليات، الحقوق اللغوية للأقليات اللغوية: دليل عملي للتنفيذ، جنيف: 2012.

وضعها ودورها اللّغوي والاقتصادي لاحتكار الثّروة والامتيازات المادّية والرّمزية، وذلك على حساب عموم الشّعب، وضدّ العدالة الاجتماعية واللغوية[1].

وإذا ما طبقنا ما يذهب إليه عالم اللغة واللسانيات عبد السلام المسدي بأنه «لا ثقافة بغير هُويّة حضاريّة. ولا هُويّة بغير إنتاج فكريّ. ولا فكرَ بغير مؤسّسات علميّة متينة. ولا علم بغير حرّية معرفيّة. ولا معرفة ولا تواصلَ ولا تأثيرَ إلا بلغة قوميّة»[2] على التركمان السوريين، لفهمنا مأزق الهوية التركمانية بصورة أشد قتامة، لاعتبارات عدة، ليس أولها أن الوضع التعليمي في المحيط العربي يعاني من أزمات حادة ناتجة عن غياب الحرية وسيطرة الاستبداد والتخلف، ولا آخرها أن وضع اللغة العربية نفسه -الأداة الرئيسة للتعريب- يعاني من حرج نتيجة صعود اللغات الأجنبية كلغات للعلوم والآداب الحديثة من جهة، وتزايد استخدام العاميّة بلهجاتها المناطقية من جهة أخرى[3].

ويرى الباحث محمد خير عيد أنه ليس من قبيل المبالغة القول إن 90% من التركمان السوريين قد «اندمجوا» اندماجاً كاملاً في مجتمعاتهم التي سكنوا فيها ونسوا لغتهم الأصلية، خاصةً أولئك الذين سكنوا المدن السورية الكبرى. أما فيما يخص تركمان الأرياف الذين سكنوا قرى خاصة بهم، فقد حافظوا على لغتهم التركمانية التي تطورت إلى العربية أكثر منها إلى التركية، لتصل نسبة الكلمات العربية المستخدمة في لغتهم إلى 50% كتركمان حمص وحماة واللاذقية وبعض قرى الجولان[4]. في حين نسي قسم كبير من التركمان القاطنين في المدن

---

(1) الفهري عبد القادر الفاسي، لغة الهويّة والتعلّم بين السياسة والاقتصاد: نموذج تماسكي تنوّعي وتعدّدي، في مجلة تبين، العدد 1، صيف 2012، ص41.

(2) انظر: المسدّي عبد السلام، الهوية واللغة في الوطن العربي بين أزمة الفكر ومأزق السياسة، في مجلة تبين، العدد 1، صيف 2012، ص87.

(3) للمزيد عن هذه الإشكالية انظر: المسدّي عبد السّلام، الهوية واللغة في الوطن العربي بين أزمة الفكر ومأزق السياسة، سبق ذكره.

(4) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص100.

الكبيرة لغته، مع ملاحظة أن ذلك لم يمنعهم من الاستمرار في نعت أنفسهم بأنهم تركمان، أو من أصول تركمانية، كما هو حال بعض العائلات التركمانية في حلب وحمص[1].

ويرى عضو اللجنة الاستشارية لتركمان سوريا صالح فاضل صالح أن مدة من الانقطاع الثقافي بين تركمان سوريا والأتراك استمرت لمدة ثلاثين عاماً منذ عام 1970 حتى عام 2000 قد أثرت سلباً في لغة الأجيال الأصغر من التركمان السوريين، إذ لم يبق من سبل التواصل مع الأتراك إلا التقاط البث التلفزيوني والراديو التركيين كوسيلة لإبقاء التواصل اللغوي وسماع التركية بصورة قد تساعد على عدم نسيان التركمانية، لا سيما في القرى والبلدات التركمانية القريبة من الحدود التركية. وقبل عام 1970 كان في مقدور تركمان مناطق ريف حلب واللاذقية الحدودية مع تركيا البقاء على تواصل مع الأتراك على الطرف الآخر من الحدود، حتى أنهم كانوا يتبضعون من المدن التركية القريبة مثل كيليس وغازي عنتاب وغيرها من المدن أكثر من حلب ذاتها[2].

وبذلك يمكننا القول بأن قوة الهوية الثقافية لدى التركمان السوريين قد ارتبطت نسبياً بقربهم الجغرافي من الحدود مع تركيا أو ببعدهم عنها. ولعله من اللافت هنا تسجيل حالة تثبت قوة هذا الطرح، ففي مدينة تل أبيض التي تقع على الحدود السورية-التركية ظهرت قوة التأثير الثقافي التركي ليس فقط في الحفاظ على قوة الهوية الثقافية التركمانية لدى سكانها من تركمان، بل تعداه إلى تحول بعض العائلات العربية إلى تركمان مع مرور الزمن[3].

---

(1) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 20.

(2) الحسون حسام، التركمان السوريون واللغة التركمانية، سبق ذكره.

(3) الحسون حسام، عن التركمان السوريين وأوضاعهم في اسطنبول، مقابلة مع أحمد ويس، أجريت عبر الانترنت، [د.ن]، 2018. وقد ذكر ويس معلومة أن عائلة الدادات في تل أبيض كانت أساساً عائلة عربية تحولت إلى تركمانية مع مرور الوقت.

ثالثاً- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للتركمان في سوريا قبل الثورة السورية 2011

امتهنت معظم عشائر التركمان الرعي سابقاً، ومع مرور الزمن مارست الزراعة[1] وتربية الحيوانات على ما هي حال غالبية أبناء الريف السوري، فيما يسود العمل الحر والاشتغال بالوظيفة العامة لدى التركمان المقيمين في المدن[2]. والقاسم المشترك بين تركمان الريف والمدينة هو انخفاض مستويات التعليم، وبشكل خاص في الريف[3]. ويمكن استثناء تركمان الجولان المحتل من ذلك، حيث انكب أبناؤهم على الدارسة والتعلم بصورة أكبر، نتيجة فقدانهم أراضيهم وممتلكاتهم، فأضحى التعلم هو الوسيلة الناجعة للحصول على العمل الوظيفي؛ وقد ساعدهم في ذلك مجانية التعليم في سوريا في كل المراحل الدراسية[4].

ويمكن القول إن تركمان حلب قد اشتغلوا في الزراعة وصناعة الأحذية، وتركمان الرقة ودرعا بالزراعة، في حين اشتغل تركمان اللاذقية وطرطوس بالحمضيات وبالأعمال المرتبطة بالغابات، أما تركمان حماة وحمص فيغلب عليهم العمل الزراعي وتربية الماشية، وفي دمشق يعمل معظمهم في الوظائف المدنية والمهن الحرة. ويعمل الأفراد غير المدربين منهم، ممن يعيشون في المدن، كعمال في ورش التصنيع الصغيرة وفي المعامل، وهي وظائف غير ثابتة، إضافة إلى وجود عدد أقل من التركمان المتعلمين الذين يعملون في المدينة،

---

(1) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص133.

(2) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص133.

(3) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 24.

(4) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص107.

أو في الأعمال المصرفية، أو في الشركات الخاصة، ممن حققوا ظروف حياتية أفضل. وقد استفاد بعض التجار التركمان من تحسن العلاقات البينية التركية-السورية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، فأمكن لهم المتاجرة ببضائع تركية المنشأ؛ يشترونها من مناطق مختلفة في تركيا في مواسم معينة، ومن ثم يطرحوها في الأسواق السورية[1].

وتماثل أكثر عادات تركمان سوريا عادات أقرانهم العرب السوريين، حيث كان الاندماج بينياً وفاعلاً من كلا الطرفين، لاسيما مع العرب السنة. ولا يوجد ما يمكن أن يميز بين التركمان عن غيرهم من السوريين من الناحية القانونية[2].

ويفيد الوصف التاريخي الذي يحتويه كتاب ولاية بيروت في الاطلاع على الأوضاع الاجتماعية للتركمان السوريين في سوريا الحالية عشية الحرب العالمية الأولى في مطلع القرن العشرين، وقد ارتأينا اقتباسه حرفياً لما فيه من معلومات مهمة تمس العادات والتقاليد التركمانية، وما يحتويه من صور اجتماعية تعكس صورة الآخر:

> «إن دواعي المعيشة في التركمان جعلت لكل من الرجال والنساء وظائف على حدة. فالرجال يشتغلون بالزراعة؛ فيحرثون، ويبذرون، ويحصدون، ويرعون الماشية، وأيضاً يفتلون الحبال بأيديهم، ويعلمون السروج، ويصنعون القلانس والخفاف، ويتعاطون التجارة أوقات فراغهم، ويلعبون على الحبال، ويتغنّون، ويأخذون نصيبهم من السرور. ويكثرون من التدخين وشرب الشاي[3].
>
> أما نساؤهم فعليهن مشاغل، وأتعاب باهضة [باهظة] حملهن الرجال إياها. ولهم كامل الحرية، ولا يعاملن من قبل الرجال بسوء؛ ويتجولن حيث شئن على أتم الاستقلال والحرية. وإذا وجدن مع الرجال يكن في موضع رعاية واحترام.

---

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, "Suriye'de DeĞiŞimin," p. 23-24.

(2) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص133.

(3) بدورهم يكثر أتراك تركيا من شرب الشاي لدرجة الإدمان إن جاز التعبير.

لا ينقطع نساء التركمان عن العمل، بل دأبهن السعي، ولابد أن يخلقن لأنفسهن مشغلة. فطحن القمح، وغزل الصوف والقطن، ونسج السجاد، وتلبيد اللبود، وجلب الماء، هي من وظائف النساء. فتراهن يثابرن على القيام بهذه الوظائف ولو كن حاملات أو مرضعات. حتى أنهن يشتغلن بالغزل أثناء الزيارات أيضاً. ولا من متعب لهن مثل تدوير الرحى، ولا يفتئن يتألمن منها.

التركمان، رجالاً ونساءً، ميالون لعمل الخير، وإغاثة أبناء جنسهم، ويندر أن يصدر منهم لبعضهم كلام سيء، أو سب، وإنهم يشنون الغارة على بعضهم، ويسمونها غزواً، فتحدث بين العشائر المتجاورة مقاتلات دموية. على أنهم معذورون بذلك، لأن هذه من دواعي البداوة. والمثل التركي يقول: داخل البلد للتركي سجن. ولذلك نجد فيهم ميلاً قوياً لتلك الحياة [البدوية]. وهم مشغوفون بحب جيادهم، وأفراسهم، وقسيهم وسهامهم. ويحبون أن يكونوا على حياة راحلة كقدماء الأتراك. ومما امتازوا به من الأوصاف الحسنة إكرام الضيوف. يتزاورون في خيامهم نساءً ورجالاً. والرجل يحيد بنظره لدى فتحه باب الخيمة، فتتقنع المرأة، وتتنحى للداخل، ثم يدخل. وبعد أن يسلم وتنتهي مراسم الترحيب، لا تلبث النساء أن تأتي وعلى أيديهن الطعام. ويسارعن لبذل أنواع الإكرام والاحترام.

النساء عندهم يحترمون الرجال احتراماً فائقاً، ويتكلمن همساً إذا وجدن قريباً منهم، ولا يردن أن يسمعوهن. ويسترن أسفل وجوههن في حضرتهم. ومع ذلك إنهن على أتم ما يرام من الحرية. فلا يخجلن من محادثة الغريب، ولا يصدفن حياء إذا سلم عليهن.

ولهؤلاء القوم ارتباط عظيم في الدين. وهم أول من أسلم من الأتراك [...] كلهم مسلمون وسنيون، وقلوبهم صادقة لهذا الدين، غير أنهم في أشد الحاجة إلى هداية العلم وإرشاده.»[1]

---

(1) التميمي رفيق، بهجت محمد، ولاية بيروت، سبق ذكره، ج2، ص29-30.

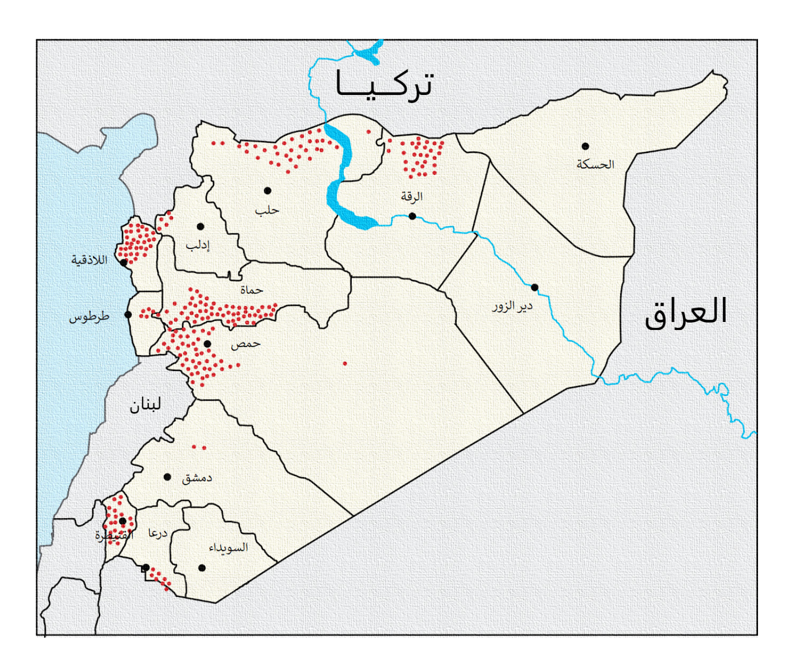
أما فيما يتعلق بالمطبخ التركماني، فيمكن ملاحظة أنه لا يختلف عن غيره من المطابخ السورية بصورة عامة؛ فالميراث العثماني في المطبخ السوري حاضر على اختلاف المناطق السورية، ولكن ذلك لا يمنع وجود بعض الطبخات التي تتميز بها بعض المناطق، وهو حال كثير من المناطق على اختلاف الهويات الثقافية فيها[1]، إذ يتوزع التركمان السوريون ديموغرافياً على مختلف المحافظات السورية كما تبين الفقرة اللاحقة.

رابعاً- الانتشار الجغرافي للتركمان السوريين

يتوزع التركمان السوريون جغرافياً على مختلف المحافظات السورية، وكلما اقترب وجودهم الجغرافي من الحدود التركية استخدموا لغتهم التركمانية أكثر، وقويت روابطهم الاجتماعية العشائرية، كما هو حالهم في محافظات حلب والرقة واللاذقية. ومن جهة أخرى، كلما كان تواجدهم الجغرافي في المدن السورية الكبرى، مثل دمشق وحمص وغيرها، أو بعيداً عن الحدود التركية، ضعفت لغتهم، ووهنت روابطهم العشائرية، لاسيما لدى الأجيال الأصغر منهم؛ ليصل الأمر درجة الاستعراب بصورة كاملة، ما يعد عملياً أحد الأسباب التي تجعل عملية إحصائهم سكانياً أصعب (إن سُمح بها أساساً). ويمكن تصنيف التوزع الجغرافي للتركمان السوريين في سوريا حسب الترتيب الآتي:

---

(1) من ذلك طبخة لدى تركمان قرية الراعي تدعى «مغمومة»، وهي عبارة عن برغل مع سبانخ أو سلق. الحسون حسام، عن التركمان السوريين وأوضاعهم في اسطنبول، سبق ذكره.



الصورة (1) خريطة التوزع الجغرافي للتركمان السوريين في سوريا[1]

1 - تركمان المنطقة الشمالية

وتضم هذه المنطقة تركمان محافظتي حلب والرقة كالآتي:

أ. تركمان حلب

تأتي محافظة حلب في مقدمة المناطق التي يقطنها التركمان في سوريا. وهم يعيشون في مدينة حلب، وفي نحو 140 قرية تقع في ريفها[2]، وتمتد هذه القرى من جرابلس حتى عفرين[3]. وأكبر عشائر التركمان في منطقة حلب

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, "Suriye'de Değişimin," p. 23.

(2) للمزيد حول أسماء هذه البلدات والقرى انظر الملحق الأول، الجداول ذات الأرقام 1-7.

(3) من أسماء العائلات التركمانية أو ذات الأصول التركمانية في مدينة حلب وريفها: أتاش أوغلو، ازميرلي/ازمرلي، أسود، أشجي، آغا، إلبلي، البابي، بازارباشي، باشا، باكير، براق، =

هما «بيديلي» (Beydili) و«إلبيلي» (Ilbeyli)، وتعود جذورهما إلى منطقة سيواس (Sivas) في قلب الأناضول[1]. وقد وصل أجداد التركمان السلاجقة إلى حلب قبل وصولهم الأناضول ذاتها[2]، وما زالت العديد من أحياء مدينة حلب وحارتها وقراها تحتفظ بأسمائها التركية على الرغم من سياسات التعريب التي بدأ تطبيقها منذ استقلال سوريا عام [3]1946.

وبموجب المعطيات التاريخية امتدت أراضي ولاية حلب العثمانية إلى ولاية سيواس الحالية في تركيا وسط الاناضول، وأضنة في غربه، وملاطية وحران (في تركيا الحالية) ودير الزور (في سوريا الحالية) شرقاً، وصولاً إلى محافظة حماة السورية جنوباً، لتشمل بذلك العديد من المدن والبلدات والقرى التركية والسورية التي تضمها ولايات أورفة وعنتاب ومرعش وأنطاكية في الجانب التركي، ومحافظات حلب وإدلب والرقة ودير الزور في الجانب السوري؛ وبمعنى

= برجكلي، بصمجي، بلوكباشي، بيديلي، بيراقدار، الترك، تركماني/توركماني، التنجي، جاويش، جلبي، حزوري، حيدر، خوجة، دالاتي، درده، دشّو، دلالباشي، ديموق/داموق، رشيد، زكرت، ساسيلي، سايسلي، سلو، سلّور، شكشوك، شهبندر، صاري، صاري كوزال، طقوز، عبو/ ابيو، اشكي، عطري، الغزي، قاطرجي، قرقناوي، قوجة، كاخيا، كيخيا، كرزون، كركولي، كمال، كواكبي، كور، كيالي، كيلو، كيليسلي، مارديلي، مارديني، ماز، مامو، مدرس، مرعشلي، ملا، مهلي، نسيمي، نيلي، هبّو/هيبّو، يغن/ يكن، يوزباشي، يوزقطلي. مصدر البيانات: Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 10

(1) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 19-20.

(2) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 10.

(3) لعله من المفيد هنا الإشارة إلى أن سياسة فرض أسماء جديدة على بعض المدن أو القرى أو الحارات والشوارع لم تقتصر على الجانب السوري. إذ طبق الجانب التركي سياسات مشابهة لا سيما في لواء اسكندرون، حيث جرت العملية العكسية، أي فرض أسماء تركية على المناطق العربية، على سبيل المثال لا الحصر تغيير اسم السويدية إلى سمان داغ (جبل التبن Samandağ). وتعد مدينة أنطاكية المركز الوحيد لولاية تركية التي لا يطابق اسمها اسم مركزها، أي ولاية هاتاي (Hatay). (ملاحظات شخصية للباحث خلال تنقله لمدة ثلاثة شهور بين مدينة انطاكية وقراها عام 2014).

أدق كانت حلب مركز ولاية ذات نسبة سكان أتراك عالية جداً. هذه المعطيات الجغرافية والديموغرافية يمكن أن تفسر تشابه لهجة التركمان السوريين في حلب مع اللهجات التركية المحلية في كل من أضنة وعنتاب والعثمانية وغيرها من وسط تركيا وجنوبها[1].

ب. تركمان الرقة

يتوزع قسم من تركمان سوريا في منطقة الفرات والجزيرة السورية، حيث توجد أقلية تركمانية تشكل امتداداً لتركمان شمال العراق[2]. وتوجد في محافظة الرقة نحو 20 قرية تركمانية أو يقطنها تركمان، تقع على مقربة من الحدود التركية[3]؛ كما تسكن بعض العائلات التركمانية مدينة تل أبيض[4].

2 - تركمان المنطقة الوسطى

وتضم هذه المنطقة الجغرافية التركمان المتوزعين في أراضي محافظتي حمص وحماة، على النحو الآتي:

أ. تركمان حمص

تحتل محافظة حمص المرتبة الثانية بعد حلب وريفها من حيث كثافة التواجد التركماني. وهم يعيشون في مدينة حمص، وفي نحو 60 قرية في ريف

---

(1) للمزيد من الأرقام الإحصائية عن عدد سكان ولاية حلب وغيرها من الولايات العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى راجع:
Kemal Karpat, *Ottoman Population 1830-1914: Demographic and Social Characteristics* (University of Wisconsin Press 1985), p. 178-186.

(2) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص133.

(3) للمزيد حول أسماء هذه البلدات والقرى انظر الملحق الأول، الجدول رقم 8.

(4) Orhan, "Syrian Turkmens," p. 19.

المحافظة[1]. وهناك مقولة شعبية في حمص مفادها: «اللي مانو تركماني يروح يدور على أصلو»، وعلى الرغم من تحفظنا على مناطقية المقولة ومدلولها الطائفي، إلا أنها قد تفيد الاستدلال على النسبة الكبيرة للأصول التركمانية في مدينة حمص وريفها[2].

ب. تركمان حماة

يعد تركمان حماة امتداداً لتركمان حمص، وهم يتوزعون جغرافياً على بعض البلدات والقرى في ريف حماة[3]. وقد استعرب تركمان مدينة حماة، في حين لا يزال تركمان ريف حماة يتحدثون التركمانية[4].

---

(1) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 19.

للمزيد حول أسماء هذه البلدات والقرى انظر الملحق الأول، الجداول ذات الأرقام 9 و10.

(2) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye'de Değişimin,” p. 14.

من العشائر التركمانية التي استقرت في أعمال حماة وحمص في العهد العثماني نذكر: أبو درداء يا باغلي أولان بوظلو، إدريس كخودايا طابي أبالو، آميري سينجارلو، إناللو، أوشاق أوباسي، آيميري دندوارلو، بشير أوغلولارا أوباسي، تركمان السلورية، توهتمورلوسو، جوزلو جركز أوغلولاري، حجلتو، حماة دغري مصطفى كخودا، حماة دوغري طابيي درويش كخودا، دانيشماندلوية طابي قره خليل، دوغر أوغلاني، ديناداش أوغلو إسماعيل بوظولوسا باغلي أولان جنجلي أفشار، شام بيغميش لوسو، طقوز خان حربندي لوسو، قابو أوشاق، قره أوشار، قره توهتمورلو، قزل علي، كوسه كخودايا باغلي شرفلي. مصدر البيانات: Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye'de Değişimin,” p.15

(3) للمزيد حول أسماء هذه البلدات والقرى انظر الملحق الأول، الجداول ذات الأرقام 11-13.

(4) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye'de Değişimin,” p. 17.

من العائلات التركمانية في حماة وريفها: العظم، العظمة، الشرابي، السعدي، شيشكلي، غزي، مازرجي، سراج، أوزون، قوشن، قاووط، غبش، كوجك، قوجة، خورشيد، أرشيد، قندقجي، البيك، تورون، قاسم، محمد، عثمان، رجب، باشا، دالي، أقباليا، آغا، تنش، تركماني. المصدر السابق نفسه.

3 - تركمان المنطقة الساحلية

وتشمل هذه المجموعة تركمان محافظتي اللاذقية وطرطوس، إضافة إلى تركمان محافظة إدلب الذين يعدون امتداداً طبيعياً لتركمان محافظة اللاذقية.

أ. تركمان اللاذقية

تأتي محافظة اللاذقية في المرتبة الثالثة بين المحافظات السورية فيما يخص كثافة التواجد التركماني، ويعرف تركمانها بتسمية «تركمان باير-بوجاق» حيث يوجد لهم أكثر من 70 قرية[1]. ولا توجد قرى عربية بين القرى التركمانية في هذه المنطقة، أي أنها منطقة تركمانية بحتة[2].

ويعود استقرار عشائر تركمانية في الساحل السوري إلى بداية العصر المملوكي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي[3]، حين أسهمت بعض العشائر التركمانية في قتال الصليبيين وطردهم، فوطّنتهم السلطنة المملوكية في هذه المنطقة كحاميات عسكرية، وبقوا مستقرين في مناطقهم منذ ذلك الوقت[4]. وقد زار الرحالة الشهير ابن بطوطة جبل الأقرع، ووصفه بأنه أعلى جبل في بلاد الشام، غني بالعيون والأنهار، وسكانه التركمان[5].

---

(1) للمزيد حول أسماء هذه البلدات والقرى انظر الملحق الأول، الجداول ذات الأرقام 14-15.

(2) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 15.

(3) من أسماء العائلات التركمانية في مدينة اللاذقية: تركماني، مطارجي، شاهين، كنج، سباهي، سراج، أسطا، ساية، حوالي، جياري، أصلان، أرسلان، عرقاوي، سليت، صاري، سلو، سلور، أوشاري، جمل، جوني، مولا، آغا، قلعجي، مصري، حطاب، بكداش، دنورة، هاورن، شريتح، ريس، شريقي، باشا، قبلاوي/قبولاي، صابوني، قورقماز، زادة، تبسي، سيد، يوزباشي. مصدر المعلومات:

Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 15.

(4) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص70-71.

(5) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، سبق ذكره، ج1، ص99.

وقد قسم مؤلفا كتاب ولاية بيروت تركمان اللاذقية في مطلع القرن العشرين إلى ثلاثة أقسام: يضم القسم الأول تركمان «ناحية الخزينة التابعة للواء اللاذقية»؛ ومن مناطقها برج الإسلام والصليب. أما القسم الثاني فيشمل تركمان ناحية باير التابعة للاذقية. «ويسكنون في قصبة كبليه [وهي] مركز الناحية، وما عداها في قرى كبره، شره ن، چوقورچاق، قولجاق، كه بير، قاراجغز، شمروران، آقچه باير، قلابه، آره نلك، مصيين، قاپاقليه، حزبة، ثولات، والى، قيزيل جورة عبود، قيزيل جورة ازهرى، ياماديه، قيزيل». في حين يضم القسم الثالث تركمان ناحية «البسيطة» أو «بوچاق»، «وهم ساكنون في قصبة 'كشيش' [وهي] مركز الناحية، وما عداها في قرى بدروسيه، فاقى، حسن، عيسى بكلى، طورنجه، بوزاوغلان، كسله جك، زيتونجق، سراى، زاغرين، شقروران، الماليه، مران»[1].

ب. تركمان إدلب

يعيش تركمان إدلب في مناطق ريفية في محافظة إدلب قرب الحدود مع ولاية هاتاي التركية (لواء اسكندرون)[2].

ج. تركمان طرطوس

محافظة طرطوس هي إحدى المناطق التي تم توطين التركمان فيها خلال الفترة العثمانية؛ وهم يعيشون في المناطق الريفية منها[3].

4 - تركمان المنطقة الجنوبية

وتضم هذه المنطقة تركمان محافظات دمشق والجولان ودرعا كالآتي:

---

(1) التميمي رفيق، بهجت محمد، ولاية بيروت، سبق ذكره، ج2، ص39-40.

(2) للاطلاع على أسماء البلدات والقرى انظر الملحق الأول، الجدول رقم 16.

(3) للاطلاع على أسماء البلدات والقرى انظر الملحق الأول، الجدول رقم 17.

أ. تركمان الشام

يمكن تقسيم ذوي الأصول التركية في دمشق إلى ثلاث مجموعات رئيسة، تحتوي المجموعة الأولى الأسر التركمانية التي عاشت في الفترة العثمانية وقبلها، وتضم المجموعة الثانية تركمان الجولان النازحين من قراهم عقب الاحتلال الإسرائيلي لهضبة الجولان 1967، أما المجموعة الثالثة فتشمل أتراكاً هاجروا من تركيا الى سوريا ممن لم يتقبلوا عَلْمنة الدولة التركية عقب تأسيس الجمهورية التركية عام 1923، وقدر عددهم آنذاك بعشرة آلاف تركي استقروا في سفح جبل قاسيون في حي الشيخ محي الدين في «حارة الأتراك»؛ ويضاف إليهم أتراك القرشاي بلقار (Karaçay Balkar)[1] من القبائل التركية[2].

ومن أبرز الأحياء الدمشقية التي استقر فيها التركمان: مساكن برزة، والحجر الأسود، والقدم، وعش الورور، وجوبر. في حين استعربت العائلات التركمانية التي تقطن في وسط المدينة[3].

ويوجد نحو خمسة قرى تركمانية في المناطق الريفية بدمشق[4]. وعقب

---

(1) تعني Karaçay بالتركية: الشاي الأسود.

(2) من أسماء العائلات ذات الأصول التركمانية في دمشق وريفها: أجليقين، أزمرلي، اسطنبولي، آغريبوظ، آقبيق، إلشي، أورفلي، أوزون، إيبش، بخاري، بركات، بزم، بصمجي، بغا/ الحسيني، بيازيد، بيطار، بيك، ترزي/ طرزي، تركماني، تللو، تمر أغا، توقاتلي، جبه جي، جوخدار، جولاق، خاني، خجا، خردة جي، داغستاني، دالاتي، دالي، دامر، دردري، دركيل، دقماق، دهمان، دوجي، رهونجي، زركلي، زكي، زنكي، سرجلي، سردست، سقطي، سلطان، سلو، شربتجي، شربجي، شمدين أغا، شيباني، طاولو، طرابزوني، طرقجي، عبجي، عطري، عظم، عظمة، عمادي، عنتابي، قباني/ آقبيق، قتلان، قشلان، قشه جي، قصاب، قلطجي، قلعجي، قوتلي، قولي، كركوتلي، كركولي، كلش، مارديني، مجملجي، مرادي، مردم بك، ملص، موره لي. مصدر البيانات: Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 9

(3) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 9.

(4) للمزيد حول أسماء هذه المناطق انظر الملحق الأول، الجدول رقم 18.

الاحتلال الإسرائيلي للجولان انتقل التركمان الذين كانوا يعيشون في نحو 20 قرية جولانية إلى دمشق وضواحيها[1].

ب. تركمان الجولان

يعد تركمان الجولان من أقدم عشائر التركمان في بلاد الشام، حيث يعود تاريخ استقرار بعض عشائرهم إلى أيام السلطنة السلجوقية في القرن الحادي عشر، ويطلق عليهم بعض التركمان الآخرون تسمية «اسكي تركمان»، وتعني التركمان القدماء، تمييزاً لهم عن التركمان الأحدث الذين استقروا في بلاد الشام أيام المماليك والعثمانيين[2]. وبدورهم يطلق تركمان الجولان على التركمان الآخرين تسمية «أتراك»، ويفهم منها أنهم تركمان من أيام العثمانيين[3].

وينتمي قسم من تركمان الجولان إلى العشائر التركمانية المستعربة التي سكنت شمال فلسطين في منطقة مرج ابن عامر، حيث شكلوا هناك ائتلافاً ضم ثمانية عشائر وهم بني سعيدان، أبناء علقمة (العلاقمة)، وبني غراء، وبني ظبية (ظبايا)، وشقيرات، والطواطحة (عرب أبو زريق)، والنغنغية، وعرب العوادين[4].

وقد تم تهجير القسم الأعظم من تركمان الجولان إلى مدينة دمشق نتيجة للاحتلال الإسرائيلي للجولان في عام 1967، وقدّر عددهم آنذاك بنحو 3 آلاف

---

(1) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 19.

(2) يبدو تركمان الجولان في هذه الحالة وكأنهم أقلية ضمن أقلية.

(3) الحسون حسام، تركمان الجولان بين الماضي والحاضر، مقابلة مع عماد أيوب ورامي أيوب، أجريت عبر الانترنت، [د.ن]، 2018

(4) سواعد محمد يوسف، البدو في فلسطين في الحقبة العثمانية ١٥١٦-١٩١٤، دار زهران، عمان، 2008، ص27.

ومن أسماء القبائل والعشائر التركمانية التي تتفرع عنها عائلات تركمان الجولان نذكر: طورون (وهي أكبر عشائر التركمان في الجولان)، والشعابنة، وبني عساف، والأوزلية، وكوسا، ومطر، ويورك، وغيرها. راجع: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص127 وما بعدها.

نسمة. وكان هؤلاء التركمان يتوزعون على مجموعة من القرى التركمانية بينها: حفر، وكفر نفاخ، والسنديانة، والغادرية، والعليقة[1]، وكثيراً ما تم الخلط بينهم وبين أقلية بدوية تركية كانت تعيش في الحويزة والمومسية وعين عيشة، وأغلبهم كان يمارس الرعي[2].

انتقل تركمان الجولان إلى الحياة الزراعية في العصر العثماني بعد أن تملكوا الأراضي وبدأوا العمل الزراعي فيها[3]. وقد قدر محمد خير عيد عدد تركمان الجولان في عام 2004 بثلاثين ألفاً ممن سكنوا في دمشق[4]. وقد سكنوا أحياء المزة وبرزة والحجر الأسود ومخيم اليرموك والتضامن وجوبر وعش الورور، كما

---

(1) للمزيد حول أسماء هذه المناطق انظر الملحق الأول، الجدول رقم 19.

(2) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص133.

(3) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص12. وقد كانت عملية تملك الأراضي تصب ضمن إطار الإصلاحات الإدارية التي طبقتها السلطنة العثمانية في القرن التاسع عشر التي عرفت بـ «التنظيمات»، وبدأت في عام 1839. ومن المفيد ذكره أن سياسة تمليك الأراضي قد واجهت مصاعب كبيرة. فقد كان الهدف منها تحصيل الضرائب، ما يعني أيضاً تسجيل أسماء السكان في سجلات الأحوال المدنية، الأمر الذي سيقود بدوره إلى مطالبة الدولة إياهم بالخدمة العسكرية الإلزامية؛ كما يعني التمليك حصر الرعاة في مناطق معينة يملكونها كمراعٍ لهم، الأمر الذي لم يعتادوا عليه، هذه الأسباب وغيرها قادت إلى حالة رفض عامة للتنظيمات الجديدة من قبل الكثير من مواطني الدولة العثمانية في ذلك الوقت. انظر: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص81.

(4) أدى الاحتلال الإسرائيلي للجولان إلى تهجير ما يقارب 130 ألف نسمة، وتدمير قراهم التي بلغ عددها آنذاك 340 قرية ومزرعة. وقد بلغ عدد النازحين قبيل الثورة السورية 2011 ما يقارب النصف مليون، ممن توزع في دمشق ومناطق سورية أخرى، في حين بلغ عدد السكان السوريين تحت الاحتلال ما يقارب 25 ألف نسمة، يتوزعون على خمسة قرى، هي مجدل شمس، وبقعاثا، ومسعدة، وقنية، والغجر. انظر: بريك نزيه، الجولان السوري المحتل- خريطة القرى والمزارع السورية التي دمرتها إسرائيل والمستوطنات المبنية على أنقاضها، [مرجع إلكتروني]، في موقع المرصد (مرصد الجولان)، موجود على الرابط: https://goo.gl/d6Ga83، [د.ت]، تاريخ المعاينة: 2018/2/28.

سكن قسم منهم في مدينة البعث في القسم المحرر من القنيطرة[1]. وقد لعبوا دوراً بارزاً في المقاومة الشعبية في الجولان في أثناء حرب [2]1967.

ج. تركمان درعا

تم توطين بعض العشائر التركمانية خلال العصر العثماني في مناطق مختلفة في سهل حوران لضمان سلامة طريق الحج. ويتواجد التركمان على الحدود مع الأردن. ولدى الأردن أيضاً فلاحون تركمان مقيمون هم استمرار لتركمان درعا. كما توجد بعض العائلات التركمانية التي استقرت في مدينة درعا[3].

يتضح مما سبق أن التركمان السوريين يشكلون مكوناً ثقافياً أصيلاً ضمن موازييك المجتمع السوري، له تاريخ قديم في منطقة الشرق الأوسط الحالية، ويتوزعون ديمغرافياً في سوريا الحالية على مختلف محافظاتها، حيث تتشابه عاداتهم وتقاليدهم ونمط حياتهم مع مثيلاتها لدى أقرانهم من المكونات الثقافية السورية تبعاً لمناطق استقرارهم لا سيما مع المكون العربي المسلم السني، وإذا ما استثنينا اللغة التركمانية -التي نسيها قسم من تركمان سوريا، خاصةً الأجيال الأحدث في المدن السورية الكبيرة- يمكن القول بتلاشي الحدود الثقافية بين هذين المكونين الثقافيين السوريين في سوريا، لا سيما وأن معظم تركمان سوريا يجيدون اللغة العربية- اللغة الرسمية الوحيدة في الجمهوية العربية السورية؛ إلا أن اللغة التركمانية ستشكل عموماً عاملاً أساسياً يميّز من يتحدث بها من تركمان سوريا عن غيرهم من المكونات الثقافية السورية في المنفى التركي لاحقاً.

---

(1) عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص84.

(2) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص133.

(3) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 21.
عن أسماء المناطق التي سكنها التركمان في محافظة درعا انظر الملحق الأول، الجدول رقم 20.

الفصل الثاني:

التركمان السوريين في المنفى التركي،
إسطنبول نموذجاً

يعد استبدال الفرد مكان سكنه بآخر ظاهرة بشرية قديمة قدم الوجود الإنساني ذاته، وتسمى هذه الظاهرة «هجرة» في أوقات السلم، ويدرج تحتها الانتقال بدافع تحسين ظروف المعيشة، أو بسبب ضعف الموارد الطبيعية، أو نتيجة ظروف مناخية قاسية، بما يفيد الحفاظ على الحياة؛ أما الانتقال الناتج عن فعل بشري عنيف كالحروب والاحتلالات والاعتداءات العنصرية والملاحقة الأمنية فهو «تهجير»؛ حتى إن انتقل الفرد لتحسين ظروفه اقتصادياً من بلدان آمنة لا تعاني من الحروب، ولكنها غنية بالموارد الطبيعية وغارقة في الفساد والظلم الاجتماعي ويسودها الاستبداد، ليس إلا تهجيراً يدُرج تحت مسمى «هجرة لأسباب اقتصادية» لأنها نتجت في رأينا عن إكراه غير مباشر.

وقد كشفت الاحتجاجات الشعبية التي انطلقت في سوريا في شهر آذار 2011 عن الدينامية الاجتماعية للتركمان السوريين[1]، إذ مثّلت هذه الاحتجاجات الفرصة السانحة لهم للتعبير عن رفضهم للواقع الذي يعيشونه، فانحازت الغالبية العظمى منهم إلى جانب المتظاهرين منذ انطلاقتها، ومن ثم انخرط قسم كبير منهم في نشاطات المعارضة السورية، السياسية، والإعلامية، والاجتماعية، وسرعان ما ظهرت لهم مليشيات مسلحة[2]، ولكن ذلك لم يعنِ تمكنهم من توحيد تياراتهم وآرائهم السياسية[3].

عانى التركمان السوريون بدورهم من ويلات الحرب في سوريا، وكان لقراهم

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 6.

(2) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 26.

(3) Ibid 21.

وبلداتهم نصيب كبير من حملات القمع والتدمير، وأضحت مسرحاً للعديد من العمليات القتالية الدائرة بين القوى المتصارعة في سوريا، كما تعرض تركمان ريفي حلب والرقة للاضطهاد من قبل تنظيم داعش، ما أجبر أعداداً كبيرةً منهم في نهاية المطاف على الهرب إلى تركيا واللجوء فيها[1]، حيث ظهرت نتائج تعايشهم السلمي سابقاً مع المكون الأكبر في سوريا، أي العرب السنة، إذ تشير البيانات الرسمية إلى أن معظم المقيمين في مخيمات اللجوء في تركيا كانوا من العرب السنة والتركمان[2].

وقد تطور الموقف الرسمي التركي تجاه الحكومة السورية خلال الشهور الأولى للثورة السورية من إبداء النصائح، إلى التنديد بالقمع، ومن ثم إلى القطيعة التامة والعداء العلني. وعملياً، شكل تردي الأوضاع في سوريا فرصة للتدخل التركي تحت مسميات عدة، أبرزها الدفاع عن الأمن القومي التركي، وحماية الأقلية التركمانية، وسرعان ما احتل المسمى الأخير حيزاً مهماً في الخطاب السياسي التركي حتى أنه غدا مجالاً للمزايدات الانتخابية في مستويي الحكومة والمعارضة على حد سواء[3]. وسرعان ما احتلت تركيا المركز الأول ضمن ترتيب الدول التي تستضيف اللاجئين السوريين عالمياً، حيث تم نعتهم في الإعلام الرسمي التركي بالضيوف (Misafirler)، وهي تسمية، وإن كانت تحمل

---

(1) Rosiny, “Power Sharing in Syria,” p. 7.

(2) غلب على مخيمات اللجوء في تركيا العرب السنة بالإضافة إلى التركمان وبعض الشركس، في حين سكن التركمان الشيعة والأكراد خارجها غالباً. للمزيد انظر:
International Crisis Group, “The Rising Costs of Turkey’s Syrian Quagmire”, Europe Report N°230, (Brussels: April 2014), 2 and 29.

(3) من ذلك المزايدات التي يتبناها حزب الحركة القومية التركية بالمطالبة بضرورة تحرك تركي لحماية التركمان في سوريا. انظر على سبيل المثال:
Hatem Ete and others, “Turkey’s 2014 Local Elections” (Ankara: Foundation for Political, Economic and Social Research/SETA, March 2014), p. 17.

دلالات التعاطف الكبير معهم، والحث على مساعدتهم، وعلى وجوب إكرامهم من قبل الشعب التركي؛ فإنها تعني من جهة أخرى عدم منحهم الصفة القانونية للجوء، بما يستتبعه ذلك من التزامات دولية تقع على عاتق الدولة التركية. وقد بدا أن معظم شرائح الشعب التركي تبدي تعاطفاً كبيراً مع اللاجئين، إلا أن استمرار الأزمة لسنين طوال، ودخول السوريين سوق العمل التركي من دون تنظيم بوصفهم عمالة رخيصة منافسة للعمالة التركية، وانعكاس حساسيات الصراع الطائفي في سوريا على بعض المجتمعات التركية، وإقحام مسألة اللاجئين ضمن أجواء التنافس الحزبي والصراعات بين الحكومة التركية والمعارضة -حيث يُحسب اللاجئون السوريون عادةً على طرف الحكومة التركية، أو على حزب العدالة والتنمية الحاكم، أو على الرئيس التركي رجب طيب إردوغان مباشرة- كل ذلك وغيره أدى إلى خلق بعض الحساسيات بين المجتمعين التركي والسوري في تركيا، أخذ بعضها أشكال بدائية من العنف الجماعي بين الطرفين في بعض المدن التركية، ولكن من دون أن يتطور الأمر إلى عنف منظم.

يدفع شعور الانتماء إلى أقلية في مجتمع له تجربة تاريخية طويلة مع الانتفاضات وقمع السلطة والعنف الطائفي الفرد للتجمع مع أقرانه بغية تحقيق مستوى بدائي من الأمان، ولكنه ما إن ينتقل إلى العيش في دولة مستقرة يحكمها القانون حتى يشعر بارتياح وأمان أكبر، ويصبح أكثر قابلية على الانفتاح على الآخر، لاسيما إن شعر أنه ينتمي إلى الأغلبية الحاكمة فيها. وهذا ما يفسر توزع كثير من التركمان السوريين في أحياء عدة في مدينة إسطنبول، وعدم تكتلهم معاً في أحياء أو حارات معينة؛ إلا أن بعض العائلات التركمانية الجولانية شكلت استثناءً عن ذلك، إذ تجمعت بعض هذه العائلات في حي أوكميدانى (Okmeydanı) في البر الأوروبي من مدينة إسطنبول الذي سكتنه ما يقرب 250 عائلة تركمانية[1]. ويمكن تفسير هذا التجمع الفريد من نوعه ضمن مجتمع

---

(1) الحسون حسام، تركمان الجولان بين الماضي والحاضر، سبق ذكره.

التركمان السوريين في تركيا بحداثة تجربتهم مع التهجير القسري من أراضيهم ومنازلهم في الجولان السوري المحتل، وما خلفته هذه التجربة من شعور جمعي بأنهم أقلية في حاجة إلى أن يتكتل أفرادها بعضهم مع بعض ويتعاونون فيما بينهم؛ هذا الشعور كان أقوى مقارنة بغيرهم من تركمان سوريا، كتركمان حلب واللاذقية، الذين كانوا يعيشون في قراهم وبلداتهم في سوريا، ولم يشعروا قبل الحرب في سوريا بتهديد جدي يستهدف وجودهم فيها.

يحاول هذا الفصل أن يحيط بأوضاع التركمان السوريين في المنفى التركي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية، وأن يرصد التغييرات التي طرأت على هويتهم الثقافية، ويعرض دراسة بعض الحالات الفردية لشخصيات تركمانية ما يفيد وضع المهتم بالشأن التركماني في صورة الوضع الراهن لهم في المنفى التركي.

أولاً- أوضاع التركمان السوريين في المنفى التركي

1 - فاعلية التركمان السوريين الاجتماعية والسياسية في تركيا

تميز التركمان السوريون، ممن كانوا يتحدثون التركمانية سابقاً في سوريا، عن غيرهم من اللاجئين السوريين في تركيا بقدرتهم على التواصل مع الأتراك من دون الحاجة إلى تعلم اللغة التركية، ما مكنهم من إيجاد فرص عمل أكبر خلال السنوات الأولى للجوء السوري في تركيا. وقد عملوا في مجالات عدة، أبرزها الترجمة وما يتعلق بها من خدمات، كالسياحة والمشافي ومخيمات اللجوء وسواها من المجالات التي تستدعي وسيطاً لغوياً بين الأتراك والعرب. كما عمل بعضهم في تدريس اللغة التركية للاجئين السوريين في مخيمات اللجوء وفي المدارس السورية والمعاهد التعليمية الخاصة.

وبما أن التمكّن من لغة أي مجتمع هي المفتاح الأول والأهم للاندماج فيه، بما يفيد التواصل مع أفراده، والتعرف إلى ثقافته، وتكوين صداقات ومعارف، وغير ذلك، يمكن القول بأن التركمان السوريين يمثلون الفئة الأكثر استعداداً للاندماج في المجتمع التركي ضمن شرائح المجتمع السوري في تركيا. ويقوي هذا الرأي ما يجمع بين التركمان والأتراك من حقائق التاريخ المشترك، والجغرافية القريبة، والجذور العرقية الواحدة، وصلات القربى، وغيرها. ولم يقتصر الأمر على الفاعلية الاجتماعية والاقتصادية للتركمان السوريين وإنما نشط بعضهم في ميدان العمل السياسي.

ويعد التركمان السوريون من أقل الجماعات الإثنية اهتماماً بالعمل السياسي في سوريا قبل الثورة السورية، من دون أن يمنع ذلك من وجود بعض الشخصيات التركمانية الناشطة ولكن من خارج البلد[1]. ويندرج التركمان ضمن قائمة المكونات السورية التي لم تتمكن من العثور على فرصة للتنظيم السياسي أو الحزبي في سوريا قبل عام 2011، حيث شهدت الأعوام التالية ولادة عدة منظمات سياسية وعسكرية تركمانية، اتخذ معظمها من تركيا مقراً لها[2].

وتبدو التجربة التركمانية في ميدان العمل السياسي والحزبي أضعف إذا ما قارناها مع التجربة الكردية، سواء لجهة التنظيم والمؤسسات أم لجهة القوى الدولية الداعمة[3]، وقد يُفسر هذا الضعف بوقوعهم لسنوات طويلة تحت قمع الأنظمة القوموية بعيداً عن التأثير التركي المباشر[4]، إلا أن هذا التفسير ينافيه

(1) مطر سليم، جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، سبق ذكره، ص132.

(2) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 8.

(3) Ibid, p. 21.

ويرى أورهان أن التجربة الكردية تبقى ماثلة أمام أعين المراقبة التركمانية للاستفادة منها.

(4) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 19.

عدم احتواء التجربة التركمانية على انتفاضة أو تحرك شعبي ذي هوية تركمانية محضة تم قمعها سابقاً.

وقد كان لتطور الأحداث في سوريا باتجاه العنف، والانزلاق التدريجي للتكتل على أسس عرقية أو مذهبية، أن دفع بالتركمان السوريين المقيمين في تركيا إلى التحرك لقيادة التركمان السوريين، سواء أكانوا في سوريا أم في تركيا، أسوة بغيرهم من مكونات المجتمع السوري. ولعبت المنظمات السياسية التركمانية التي تأسست في تركيا في عامي 2011 و2012 دوراً مهماً في التواصل مع تركمان الداخل السوري لتأمين المساعدات اللوجستية للمدنيين والمقاتلين على حد سواء، بما يشمل إمدادهم بالغذاء والوقود والأدوية. ولكن ذلك اقتصر على المناطق التركمانية القريبة من الحدود التركية في كل من حلب واللاذقية والرقة[1]. ولا يزال التمثيل السياسي للتركمان السوريين في تركيا يعاني الهشاشة وضعف التنسيق، وتطغى عليه الانقسامات والخلافات، وهو أمر ينطبق على المعارضة السورية بصورة عامة.

تعد «الحركة التركمانية السورية»، التي تأسست في عام 2011، أولى محاولات التنظيم السياسي للتركمان السوريين في المنفى التركي. تلا ذلك، ونتيجة للخلافات على التمثيل السياسي مع المعارضة السورية في تركيا، تشكيل «مجموعة التركمان السوريين»، وقد تحولت الأخيرة بدورها إلى حركة سياسية في 2011، وتم تغيير اسمها في عام 2012 إلى «الكتلة التركمانية السورية». ومع مطلع عام 2012، حدث انشقاق جديد، فقام بعض من تركوا «الكتلة التركمانية السورية» بالتعاون مع بعض التركمان السوريين الآخرين على إنشاء «الحركة التركمانية الديمقراطية السورية». وتختلف الحركتان السياسيتان الأخيرتان عن

---

(1) انظر المقابلة التي أجراها مركز أورسام (ORSAM) مع رئيس الكتلة التركمانية السورية يوسف مولا في إسطنبول 2012 في: Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 35-40.

بعضهما عن بعض في جوانب معينة، مثل مجالات التأثير على الأرض السورية، والأيديولوجيات التي ترتكز عليها، والميلشيات التركمانية التي ترتبط بها. كما ظهرت لاحقاً مبادرة سميت «منصة التركمان السوريين» تهدف إلى خلق مجلس يتولى قيادة الحركة التركمانية السورية، وقاد هذه المبادرة عدد من الشخصيات البارزة في الحياة السياسية والتجارية التركية من التركمان السوريين الذين كانوا يعيشون في تركيا منذ ما قبل انطلاق الثورة السورية. وهكذا، يمكن القول بأن هناك ثلاث مجموعات تسعى إلى تولي قيادة الحركة السياسية التركمانية السورية وتتنافس على تمثيل التركمان السوريين[1].

ويمكن القول بصورة عامة بأن المطالب السياسية لتركمان سوريا لا تتعدى سقف الاعتراف الرسمي بهم بوصفهم مكوناً ثقافياً واجتماعياً رئيساً في سوريا يجب أن تُحفظ حقوقه من النواحي السياسية والقانونية والثقافية والاجتماعية، وأن يجد القدرة على تمثيله سياسياً في البرلمان والحكومة[2]. ولم تصل هذه المطالب إلى حد المطالبة باعتماد شكل فيدرالي لسوريا ما بعد الحرب يضمن لهم حكم مناطقهم بأنفسهم، ويمكن أن يفسر ذلك بتناثرهم ديمغرافياً على امتداد المحافظات السورية[3]، الأمر الذي يقوض إمكانية حصولهم على شكل الحكم الذاتي، كما أن فرضية تقسيم سوريا، أو إقرار شكل حكم فيدرالي فيها، يعني حصول أكراد سوريا على الحكم الذاتي، ما قد يشجع حال حصوله أكراد تركيا على المطالبة بالخطوة ذاتها، الأمر الذي يمس أحد أهم الخطوط الحمراء في سياسات الأمن القومي للدولة التركية، الحليف الأقوى للتركمان السوريين.

---

(1) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 9.

(2) من ذلك مطالبة المحامي والباحث السوري التركماني علي أوزتركمان بالاعتراف بوجود ثلاث مكونات رئيسة في سوريا: العرب والتركمان والأكراد. انظر: Orhan, p. 20

(3) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 30.

2 - بعض التغييرات التي طرأت على الهوية التركمانية

عززت تجربة المنفى التركي اتجاه الدفاع عن الهوية الثقافية التركمانية في أوساط التركمان السوريين في تركيا، لا سيما في صفوف المثقفين منهم[1]. وبدأ اتجاه جديد بالظهور في أوساط بعض المثقفين التركمان السوريين يهدف إلى إيلاء الهوية القومية التركمانية أهمية أكبر في أوساط التركمان السوريين الذين يعدون الهوية الإسلامية بوصفها هوية عليا[2].

ويمكن القول إن تجربة المنفى التركي كان لها دور كبير في تجدد سؤال الهوية الثقافية عند التركمان السوريين، لاسيما إذا ما أدركنا أن نسبة كبيرة من الأتراك -على الرغم من تعاطفهم الكبير مع التركمان والترحيب بهم- لا ينفكون عن الإشارة إليهم بوصفهم سوريين أولاً.

وتقدم المطالبات التركمانية لما بعد الأزمة السورية مجالاً واسعاً للاستدلال على تخوف التركمان السوريين من ممارسات الإدماج القسري التي كانت تهدف إلى إنهاء كل ما من شأنه أن يبقي على خصوصيتهم الثقافية، وبكلمات أخرى، تعريبهم وإدماجهم بصورة نهائية في الثقافة العربية؛ إذ تعلو بعض الأصوات التركمانية بين الفينة والأخرى، في مستويي المنظمات السياسية والأفراد، مطالبةً بحق المشاركة في صياغة دستور مرحلة ما بعد الحرب في سوريا يضمن لهم حق التعلم باللغة الأم، مشددةً على الهوية التركمانية والخشية عليها من الاندثار.

ويفضل كثير من التركمان السوريين الحاصلين على التعليم الدراسي في تركيا البقاء فيها بدلاً من العودة إلى سوريا[3]. ويمكن لدراسة الحالات الآتية أن

---

(1) Ibid, p. 20.

(2) Orhan, “Syrian Turkmens,” p. 20.

(3) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 24.

توضح للقارئ الكيفية التي بدأ فيه كثير من التركمان السوريين بطرح الأسئلة الذاتية المتعلقة بالهوية.

ثانياً- دراسة حالات

يعرض هذا الجزء من البحث تجارب شخصية لتركمان سوريين أجبروا على اللجوء إلى تركيا نتيجة للحرب في سوريا وظروفها. وقد تم التعامل مع هذه التجارب حسب منهج دراسة الحالة. أما عن معايير انتقاء هذه الشخصيات فقد تنوعت بما يفيد إغناء البحث بطبيعة الحال. وتعرض دراسة الحالة الأولى تجربة شخصية في الحقلين الذين برع فيهما التركمان السوريين في تركيا وميّزهما عن غيرهم من اللاجئين السوريين، الأول: الترجمة من وإلى العربية والتركية، والثاني: تعليم اللغة التركية لأقرانهم من اللاجئين غير الناطقين بها؛ أما الحالة الثانية فهي تمثل تجربتين شخصيتين في عائلة واحدة ولكنهما ينتميان إلى جيلين مختلفين، أي الآباء والأبناء، بما تفيد تبيان الاختلافات الواقعة بين تجارب جيلين من التركمان السوريين؛ أما الحالة الثالثة فتعرض عينة من الجيل الفتي، ممن ولد في سوريا، وشب في المنفى التركي، ممن يفترض أن بيئة المنفى والاحتكاك اليومي مع الأتراك والسوريين على حد سواء، اختلاف أعراقهم ومذاهبهم وثقافتهم، ستنعكس على طريقة حياته ونمط تفكيره ورؤيته الذاتية لهويته التركمانية السورية؛ أما الحالة الرابعة فأريد لها أن تعرض عينة من التعايش بين سوريين تركمان وعرب سواء أكان الأمر في سوريا سابقاً أم في تركيا لاحقاً، بما يفيد رصد التغييرات المفترض حدوثها نتيجة تغير الظروف والأحوال واكتساب التجارب الجديدة في المنفى التركي.

1 - أستاذ للغة التركية في إسطنبول[1]

ولد أحمد ويس في مدينة الباب في 1 آب 1990 لأب تركماني من قرية الراعي من عشيرة ال بيلي (بالتركية Elbeyliler) التركمانية. كانت قريته تدعى سابقاً جوبان باي (بالتركية Çobanbey)، وتبعد فقط عن الحدود التركية مسافة 3 كم، وتقع أراضيها على الحدود السورية-التركية مباشرةً. وأمه تركمانية أيضاً، من قرية تدعى تل الحجر (بالتركية Taş Köy) بالقرب من جرابلس. عاشت عائلته بين قرية الراعي ومدينة الباب. درس أحمد الأدب التركي في جامعة حلب، وأُبتعث لتفوقه إلى تركيا عام 2009 في إطار منحة تبادل دراسي لمدة عشرين يوماً.

واجهت عائلة أحمد في 2013 ظروفاً قاسية دفعتها إلى اتخاذ القرار بعبور الحدود إلى تركيا، كان من أبرزها تدهور صحة والده الذي كان يعاني من سكر مرتفع (توفي لاحقاً)، وتصاعد العمليات الحربية في ريف حلب وتردي الوضع الأمني فيها، ودخول داعش مدينة الباب. واستقرت العائلة لاحقاً في مدينة إسطنبول، حيث عمل أحمد في مجال الترجمة وتعليم اللغة التركية في المدارس السورية الخاصة. وقد منعته ظروف العمل ومتطلبات الحياة من متابعة الدراسة في الماجستير في تركيا.

يذكر أحمد أن تركمان منطقته يخاطب بِعضهم بعضاً «داي أوغلو»، أي ابن الخال؛ وهي طريقة تخاطب ودية تمنح طرفي الحديث شعوراً بالأمان والطمأنينة، ومشابهة لاستخدام «ابن العم» في كثير من المناطق السورية، فما أن يلتقي تركماني بآخر حتى يخاطبه بهذه الطريقة باللغة التركمانية، ويريد بذلك أن يشعره بأنه مُرحب به بين قومه وأهله، وستلبى حاجته إن سأل حتى وإن كان لم يلتقِ به سابقاً على الإطلاق. ومن الشائع لدى التركمان عند التعارف

---

(1) الحسون حسام، عن التركمان السوريين وأوضاعهم في اسطنبول، مقابلة مع أحمد ويس، أجريت عبر الانترنت، [د.ن]، 2018

السؤال عن العشيرة التي ينتمي إليها كلا الطرفين. ومن الأمور التي يجدها أحمد إيجابية هي عدم وجود خلافات كبرى بين عشائر التركمان.

ومن أسماء عشائر التركمان التي يعرفها في ريف حلب: حاجي اوشاغى (Hacı uşağı)، ال بيلي (Elbeyliler)، كل حسين (Kel hüseyin)، اوشارلار (Avşarlar)، قايلار (Kayılar)، براق (Barak). ومن أسماء الأحياء التي يقطنها التركمان في مدينة حلب يذكر: الشيخ خضر، والحيدرية، وبستان الباشا.

وذكر أحمد وجود طبقة من التركمان «الأغوات»، ممن كان آباؤهم وأجدادهم من ملاك الأراضي والقرى سابقاً، مثل عائلة «بش علو» و«بني كهيا» في شمال حلب. وعلى الرغم من أن قوانين الإصلاح الزراعي قد شملتهم سابقاً، إلا أنهم بقوا على غناهم إلى أيامنا هذه، ومن أسباب ذلك أن ثروتهم كانت ترتكز في مدينة حلب في القطاعات غير الزراعية.

يؤكد أحمد طيب علاقات التركمان مع جيرانهم العرب، كما أن زواج والده الأول من سيدة عربية وإنجابه أبناء منها قد أوجد صلات القرابة المباشرة مع عائلة عربية في وسطه الاجتماعي. ويذكر أن الاختلافات الثقافية بين تركمان وعرب منطقته كانت قليلة جداً، ومن ذلك عدم الفصل بين الجنسين بصورة تامة في الأعراس التركمانية؛ كما قد يرقص الرجال والنساء معاً قبل نهاية العرس، أي بعد ذهاب الضيوف «الغرباء»، حين تصبح الأجواء أقرب إلى العائلية.

يبدأ العرس في قريته في الساعة السادسة أو السابعة مساءً، ويستمر حتى الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل. وقد كان مهر العروس وسطياً ما بين 100 و150 ألف ليرة سورية[1]، وقد يصل 300 ألف ليرة سورية. ويقبض أهل العروس المهر ليشتروا به حاجياتها قبل العرس. والمهر منفصل عن المقدم والمؤخر، حيث يتم التوافق على المقدم والمؤخر، وغالباً ما يكون غير مقبوض.

(1) قيمة الدولار الأمريكي آنذاك يعادل 47 ليرة سورية للدولار الواحد تقريباً.

أما عن وليمة العرس فتقام في يوم العرس نفسه أو قبله بيوم واحد، والوجبة الأكثر شيوعاً هي الأرز والفريكة مع اللحم. ويقدم الضيوف والأقارب «شوباش» للعروسين، وهي كلمة تركية ما زالت متداولة في الكثير من المناطق السورية، وتعني المبلغ المالي الذي يقدمه الأقارب والضيوف للعروسين كهدية.

وفيما يخص الحرف التقليدية التي يشتغل بها أبناء منطقته، فقد كانت صناعة الأحذية وإصلاحها من أهمها. ويمكن القول بأن أوضاع التركمان في منطقته كانت مشابهة لأوضاع الطبقات المتوسطة وما دون الوسطى، ولم يصل الأمر لظهور التسول في قريته. ومن الأمور التي كانت تعجبه في قريته وجود نظام تكافل اجتماعي، حيث يقدمون مساعدات لمن كان موسمه الزراعي سيئاً، كما كانوا يساعد بعضهم بعضاً في تجهيز منزل من يريد الزواج، وأعمال البناء، وغيرها، كأن يتكفل شخص بمسألة بناء غرفة، وآخر بشراء قسم من الأثاث، وهكذا.

اللغة التركمانية هي لغة الحياة اليومية والتخاطب البيني في قريته، ولا تستخدم العربية إلا في حال وجود من لا يتقن التركمانية. وفي قريته نسبة بسيطة من العرب، ممن يستطيعون تحدث التركية. أما لغة التخاطب في المدارس والتعليم فهي العربية. وعلى الرغم من وجود معلمين تركمان، بما يفيد إمكانية التحدث البيني بالتركمانية مع الطلاب التركمان، إلا أنهم لم يستخدموا التركمانية في نطاق العمل المدرسي. وقد يتكلم المعلم التركماني مع طالبه التركماني بها ليشرح له شيء لم يفهمه خلال الدرس، ولكن خارج نطاق المدرسة. ويرى أحمد أن عدم التحدث بالتركمانية في المدارس لم تكن تخوفاً من الجهات المسؤولة، ويُفسر الأمر باحترام غير الناطقين بالتركمانية حتى وإن كانوا قلة، إذ يمكن القول بأن الرقابة الحكومية على المدارس في المناطق التركمانية لم تكن مشددة مقارنة بنظيرتها في المناطق الكردية.

يلاحظ أحمد تدني المستوى التعليمي للتركمان السوريين بصورة عامة، ويزيد أنه قلما أن رأى مفكراً تركمانياً يتحدث التركمانية؛ فقد كان معظم الأطفال التركمان يتركون مقاعد الدراسة بعد انتهاء سن التعليم الإلزامي ويتوجهون إلى الأعمال الحرة لما من شأنها أن تحقق مستقبلاً مادياً أفضل. ويعلل عدم شيوع «ثقافة الحث على التعلم» في القرى التركمانية بعدم الثقة بالمستقبل الذي من الممكن أن تؤمنه الدراسة مقارنة بمدتها الطويلة ومصاريفها الكبيرة، «يقولون للطالب هل ستصبح أستاذاً؟ أي براتب شهري ضعيف!؟ أي كانوا لا يجدون الوظائف الحكومية ذات جدوى اقتصادية، ذات قيمة؛ وإنما الأعمال الحرة، وهذه الأعمال لا تحتاج إلى دراسة».

ويذكر أحمد أن أسئلة الهوية الثقافية وأوضاع التركمان كانت حاضرة في النقاشات البينية مع زملائه التركمان خلال سنين الدراسة الجامعية، «عندما كنا نجتمع كنا نتكلم عن الهموم المشتركة، والسؤال لماذا لا يكمل التركمان دراستهم، لماذا لا يصبح أحدنا من التركمان معيداً في الجامعة».

بدأ أحمد لاحقاً يقدم نفسه للأتراك في تركيا على أنه تركماني، فيظنون أنه من العراق في البداية (ما يقدم دلائل على وجود تغطية إعلامية سابقة في تركيا فيما يخص توعية الأتراك بقضية تركمان العراق) وعندما يسألونه من أي منطقة، يجب أنه من سوريا. ويشعر أحمد بتعاطف المواطن التركي مع التركماني السوري بصورة عامة، «فمن لا يتعاطف معه من الأتراك لن يتعاطف مع أي سوري». ومن تجربته الخاصة في التعرف إلى الأتراك يفترض أحمد أن السؤال الذي يطرحه التركي على السوري حول أصله يخفي الرغبة لمعرفة إن كان هذا السوري تركمانياً أم لا، وليس لمعرفة طائفته كما هو معتاد في سوريا. «فإن عرف أنك تركماني تأتي الإجابة بأنك منا، أي من قوميتنا وشعبنا».

ويرى أحمد أن للتنافس الحزبي في تركيا انعكاسات على طريقة تعامل

الأتراك مع التركمان السوريين، ومن ذلك الود والترحاب الذي يلقاه التركماني السوري من قبل منتمي حزب الحركة القومية التركية (MHP) الأتراك، وذلك ضمن مبدأ الشعور بالتعاطف القومي والعرقي مع التركمان، حتى أن منتمي الأحزاب المعارضة (المفترضة سلبيتهم إزاء اللاجئين السوريين المحسوبين بدورهم على حكومة حزب العدالة والتنمية AKP) يُظهرون حياداً في الحد الأدنى حيال مسألة التعامل مع التركمان السوريين ضمن المبدأ نفسه.

لمس أحمد أن معظم أتراك إسطنبول كانوا لا يعرفون شيئاً عن التركمان السوريين، وبعض سكانها -ممن لم يحتك بالداخل التركي في الأناضول أو كان من الجيل الأحدث- يجد صعوبة في فهم كلمات في التركمانية أو بعض المصطلحات اليومية المستخدمة فيها. وقد كرر مراراً أن الأتراك -بعد أن بدأوا بالتعرف على السوريين- قد استغربوا وجود هذا العدد الكبير من التركمان بينهم.

لم يلاحظ أحمد تجمع التركمان السوريين في أحد أحياء مدينة إسطنبول على أساس عرقي أو مناطقي. قد يلاحظ المرء وجود تجمع صغير لهم في حي سلطان غازي. وفي تفسير ذلك يذكر غلبة منتسبي حزب الحركة القومية التركية على سكان هذا الحي، ممن لهم نشاطات إنسانية في مساعدة العائلات التركمانية على إيجاد شقق سكنية أو تحمل قسم من الإيجار الشهري في حال عدم قدرة العائلة على الإيفاء به؛ كما أن مقر الحركة التركمانية السورية يقع في هذا الحي أيضاً.

لا ينتاب أحمد شعور الغربة في إسطنبول، ولم يشعر بها إطلاقاً. بل يشعر بالندية مع الأتراك، وبأن له الحقوق نفسها التي يتمتع بها التركي. أصدقاؤه في غالبيتهم تركمان والأمر «ليس رغبةً في الانزواء والتكتل، وإنما لتشابه الظروف والهموم المشتركة». ويولي أهمية خاصة لمسألة أن يتعلم أولاده التركمانية، حتى وإن بقوا في تركيا، وتعلموا التركية الحديثة، ومن الدوافع التي يقودها

لتفسير ذلك «ضرورة الحفاظ على التواصل باللغة الأم مع الأقارب سواء أكانوا في سوريا أم في تركيا». وبعد مرور ما يقارب خمس سنوات على إقامته في تركيا لا يفكر في العودة إلى سوريا مطلقاً، حتى ولو زالت أسباب مغادرته إياها، لأنه ببساطة لا يحب أن يبدأ من الصفر مجدداً، لا سيما بعد أن شق طريقه في تركيا بصعوبة؛ كما أنه لا يحب التنقل، ويريد الاستقرار.

2 - أب وابنه (أن تعيش نازحاً في وطنك الأم، ولاجئاً في وطن الأجداد)[1]

ولد عماد أيوب -الملقب بأبي رامي- في قرية السنديانة في الجولان السوري في عام 1967، وهي قرية تقع في منطقة شبه جبلية سكانها تركمان وعرب «يطلق عليهم تسمية عجرم». وينتمي أبو رامي إلى عشيرة الشعابنة التركمانية[2]. نزحت أسرته إلى دمشق نتيجة الاحتلال الإسرائيلي للجولان عام 1967[3]، واستقرت في حي القدم في حارة سميت بصورة غير رسمية «حارة التركمان» وكان عمره آنذاك ثلاثة أشهر. مهنته هي نجار بيتون، وقد بدأ العمل بها في سن مبكرة (13 عاماً) تاركاً مقاعد الدراسة.

---

(1) الحسون حسام، تركمان الجولان بين الماضي والحاضر، مقابلة مع عماد أيوب ورامي أيوب، أجريت عبر الانترنت، [د.ن]، 2018

(2) تعد عشيرة الشعابنة من أكبر العشائر التركمانية في الجولان، وتعود بنسبها إلى عشيرة الأوشار (أوشارلار) التركمانية من قبيلة الأوغوز التركية، ولها حضور في حلب وحمص واللاذقية والعراق وإيران وأذربيجان وتركمانستان وتركيا، ومنها قادة بارزون في التاريخ التركي كأمير حلب في العصر المملوكي الأمير قرقماز شعباني والقائد دنكز الشعباني. انظر: أبو جبل أيمن، قرية السنديانة، [مرجع إلكتروني]، في موقع الجولان، موجود على الرابط: https://goo.gl/QQxR9g، [د.ت]، تاريخ المعاينة: 2018/3/3.

(3) استقر تركمان الجولان بعد نزوحهم في أحياء القدم وعسالي والحجر الأسود، وغيرها، شأنهم شأن النازحين الآخرين من الجولان.

لأبي رامي ثلاثة إخوة وخمس أخوات، تزوجوا كلهم من عائلات تركمانية من الجولان باستثناء أخت واحدة تزوجت تركمانياً من حلب. وقد تزوج بتركمانية من الجولان أيضاً، من قرية الرزّانية، رّبة منزل؛ ولها أخوان وثماني أخوات، تزوجوا كلهم من عائلات تركمانية أيضاً. وبدورها تتألف أسرة أبو رامي من ستة أفراد، الزوج والزوجة، وأربعة أبناء، ثلاث ذكور وأنثى واحدة، رامي أكبرهم، ما يشعره بمسؤولية تجاههم؛ وقد كان وضع الأسرة المعيشي في سوريا دون المتوسط.

أما رامي فقد ولد في دمشق في عام 1996، وأمضى 16 سنة من عمره في سوريا، يدرس ويساعد والده في العمل خلال العطلة الصيفية؛ وقد تابع دراسته لاحقاً في تركيا وكان من الطلاب المتفوقين في مرحلة الشهادة الثانوية[1]، اجتاز بعدها الامتحان المعياري للقبول في الجامعات التركية وتم قبوله لدراسة الهندسة المدنية، إلا أنه أوقف الدراسة مؤقتاً لكي يعمل ويدّخر ما يسمح له بمباشرة الدراسة الجامعية على نفقته الخاصة. تعلم رامي اللغة التركية الحديثة من الحياة اليومية ومخالطة الأتراك خلال العامين الأوليين عقب وصوله إلى تركيا، وتمكن من التحدث باللهجة التركية بسرعة على الرغم من عدم انتظامه في مدرسة لتعلمها[2].

لا يرى أبو رامي اختلافاً بين عادات تركمان الجولان وعادات محيطهم العربي، ولا يوجد أعياد خاصة بهم؛ ولا يوجد ما يميز المطبخ التركماني عن السوري بصورة عامة؛ كما أنه لا يوجد لباس فلكوري خاص بهم، وإنما لباس أهل الجولان

(1) تعرفت على رامي بوصفه أحد طلابي خلال عملي مدرساً لمواد التاريخ والفلسفة في إحدى مدارس السوريين في إسطنبول، وقد كان يحصل على العلامات التامة أو شبه التامة في الامتحانات التحضيرية للشهادة الثانوية.

(2) لا تتيح الحكومة التركية برامج منتظمة لتعليم التركية للاجئين السوريين، وإنما تركت الأمر منوط بهم. وسعيد الحظ من ينال منحة دراسية أو يجد وقتاً خارج إطار العمل ليتعلمها على نفقته الخاصة.

عاماً، عرباً كانوا أم تركماناً. وتشابه عادات تركمان الجولان العادات العربية للمنطقة نفسها؛ ففي الأعراس مثلاً يقدم المليحي وشوربة في وجبة الغداء الخاص بالعرس، ويكون ذلك في الساعة الثانية ظهراً تقريباً، ويحضر الضيف القادم معه خروفاً أو كيس أرز أو ما شابه مشاركةً منه في تحمل النفقات؛ ومع تقدم الزمن تغيرت بعض هذه العادات، حيث دخل نمط الوجبات الدمشقية مثل الأوزي وسواها. وكانت الأغاني في أعراسهم باللغة العربية ضمن تراث أهل الجولان بصورة عامة. والمهر بسيط مقارنة بمناطق أخرى من سوريا يتراوح ما بين 20 إلى 25 ألف ليرة سورية قبل عام 2011.

يذكر أبو رامي بأن جيله وجيل الآباء والأجداد يتحدثون فيما بينهم بالتركمانية الجولانية، إلا أن جيل الأبناء لم يتقنها. ويذكر أن أبناءه كانوا يبدون فضولاً لفهم ما يدور بينه وبين زوجته عندما يتكلمان فيما بينهما بالتركمانية؛ وقد كانا يتحدثان مع الأبناء بها، إلا أن الأبناء لم يُبدوا استعداداً لتعلمها أو رغبةً في التحدث بها.

ويؤكد أبو رامي أن التحدث بالتركمانية لم يكن ممنوعاً في سوريا، فقد كانوا يتحدثون بها فيما بينهم، داخل المنزل وخارجه، ولكنهم كانوا يشعرون بضرورة التحدث بالعربية في كثير من الحالات لكي يفهم السامع العربي، في حال وجوده. ويؤكد اختلاف اللهجة التركمانية الجولانية عن لهجات غيرهم من تركمان سوريا، فهي مزيج من العربية والتركمانية بطريقة تفاعلية حدثت على مدى مئات السنين، لدرجة إن استمع اثنان أحدهما عربي والآخر تركماني من حلب لحديث بالتركمانية الجولانية فسيصعب على كليهما فهمه.

أما رامي فيقيّم (بعد إقامته في تركيا وتعلمه التركية) تركمانية تركمان الجولان بأنها «مشوهة بالعربية»، وتغلب عليها الكلمات والمصطلحات العربية؛ ويلاحظ الآن أنها تحتوي الكثير من العربية التي تم تحويرها لتناسب لواحق

الأفعال والأسماء والضمائر التركية. ويذكر أن جده كان يتكلم التركمانية «بطريقة أفضل»، لدرجة أنه وأخوته كانوا لا يفهمون معظم الكلمات التي كان يستخدمها. وقد لاحظ أن تركمان المنطقة الجنوبية لم ينسوا لغتهم التركمانية تماماً، بعكس الصورة النمطية عنهم، إلا أنه نفسه لا يمكنه التحدث بالتركمانية لأنه ضعيف بها، حتى بعد أن استقر في تركيا؛ فإن خاطبه أحدهم بها، فهم، ولكنه يستخدم التركية الحديثة في الرد عليه.

لدى رامي وجهة نظر تقول بأن التركمانية «لهجة تركية»، وليست لغة بحد ذاتها[1]، ويدلّل على ذلك بأن تركمانية التركمان السوريين مشابهة لحد كبير للهجة أهل أورفه في جنوب تركيا على سبيل المثال، وهي بدورها تُصنف في تركيا على أنها لهجة من لهجات التركية المتعددة. من ذلك أن عائلة رامي كانت تستخدم كلمة «تشورَك» (Çurak) التي تعني «خبز»، الذي يسمى بالتركية الحديثة «إكْمك» (Ekmek)؛ وقد سأل رامي بعض الأتراك لاحقاً إذا ما كانوا يفهمون ما تعنيه كلمة «تشورك»، فأجاب اليافعون بالنفي، في حين أجاب المتقدمون في العمر بأنها تعني «خبز»، ولكنها «قديمة» لم تعد مستخدمة[2].

---

(1) هذا يخالف رأي بعض التركمان الآخرين، لا سيما في حلب واللاذقية، ممن يمارسون التركمانية بصورة أقوى، ويكتبونها بالحروف العربية، أي أنها أقرب إلى اللغة العثمانية التي تُصنف بالمعيار التركي ذاته على أنها لغة.

(2) لي تجربة قد تكون مفيدة في سياق فهم التطور السريع للغة التركية الحديثة. فخلال مدة إقامتي في أنطاكية قُمت بإيداع مستنداتي الدراسية للترجمة من العربية إلى التركية لدى مترجم تركي متمكن من أهل ولاية هاتاي. ولكن صديقي التركي، وهو أكاديمي، من ولاية سيواس في الأناضول، اعترض على استخدام المترجم بعض المصطلحات في الترجمة، وطالبه باستبدالها، ما خلق نقاشاً جدياً بين الرجلين حول إمكانية استخدام بعض المرادفات أو ضرورة استبدالها بأخرى. وقد لاحظتُ وقتها أن الإطار العام الذي تبناه الأكاديمي كان استبعاد الكلمات ذات الأصول العربية، مثل «طلبة» (Talebe) التي تعني طالب واستخدام الكلمة التركية «أورنجي» (Öğrenci) التي تعني طالب أيضاً. ويتوجب عليّ هنا التنويه بأن صديقي الأكاديمي لم يفعل ذلك من منطلق عنصري =

يذكر أبو رامي أن أصدقاءه في سوريا كانوا تركماناً وعرباً، «لا فرق». ويؤكد أن تركمان الجولان كانوا مندمجين تماماً في المجتمع السوري، ولكنه كان يشعر في بعض المواقف بعدم تقبل الآخر له بوصفه تركمانياً، ولم يتمكن من فهم أسباب ذلك رغم محاولاته. ويشير بأنه لم يفكر يوماً في اختيار أصدقائه على أساس عرقي، ولكنه لاحظ أن أصدقاءه المقربين كانوا عرباً، سواء في سوريا سابقاً أم في تركيا لاحقاً؛ إلا أن ذلك لم يمنع حدوث مواقف كان لها مدلولات سلبية، من ذلك حادثة جرت مع رامي عندما كان صغيراً، عندما سأله أحد أصحاب المتاجر في حي البزورية في دمشق عن أصله؛ وحين عرف أنه من تركمان الجولان سأله عن جدوى بقائهم في سوريا، وعن أسباب عدم رحيلهم حتى ذلك الوقت إلى تركيا؛ وقد بقي هذا الموقف حياً في ذاكرته منذ صغره.

ويمكن تفسير موقف التاجر بما خلفته عقود من تعويم الفكر القومي، الناصري ومن ثم البعثي، في مستويات التعليم والإعلام، الأمر الذي أرسى صورة مفترضة في اللاوعي الجمعي لدى بعض السوريين، لاسيما لدى العرب، بأن سوريا هي بلد عربي صرف، ومن «البدهي» أن يكون سكانه عرباً. وبذلك تحتوي تجربة رامي الشخصية في سوريا خبرة التعامل معه بوصفه «تركياً» في سوريا، ولكن المفارقة أنه عُومل في تركيا فيما بعد على أنه سوري.

دفعت العمليات الحربية التي جرت في حي القدم الدمشقي عام 2012 الأسرة إلى النزوح لمدة سبعة أشهر إلى حي جديدة الفضل، بما يعني خسارة الأسرة بيتها، وتوقف الأب عن العمل، فكان لا بد من البحث عن اتجاه جديد لكسب الرزق. اختارت العائلة السفر إلى تركيا في نيسان 2013 بتشجيع من

= معاد للعربية، فقد تعلم العربية في دمشق، وأحبها؛ ويمكن تفسير رأيه ضمن اتجاه سائد في الأوساط الأكاديمية والإعلامية والرسمية التركية، معمول به منذ أيام مصطفى كمال أتاتورك، يقضي بتنحية الكلمات العربية والفارسية ما أمكن، والاستعاضة عنها بمفردات تركية أصلية.

بعض الأقارب الذين سبقوهم في الوصول إليها، واستقرت بدايةً في ولاية هاتاي (لواء إسكندرون) في بلدة حصّة (Hassa).

يذكر الأب أنه شعر بالغربة في بداية إقامته في تركيا، فهو ببساطة إنسان أُجبر على ترك بلده وذكرياته، إلا أن التعاطف التركي الشعبي مع التركمان السوريين قد هون عليه شعور الاغتراب فيما بعد؛ فقد كان في إمكان الأتراك في ولاية هاتاي فهم لغته، وكذلك الأمر بالنسبة إليه؛ وفيما بعد بدأ يشعر بأن الأتراك أقرب إليه من العرب.

كذلك الأمر بالنسبة إلى الابن، حيث يذكر رامي أنه قد شعر بدوره بالغربة في بداية إقامته في تركيا، وبأن الأتراك كانوا يعاملون السوريين من أعراقهم كافةً معاملة واحدة، ولم يشعر بأن هناك تعاطفاً مع التركمان السوريين لمجرد كونهم تركماناً. ولكن الأتراك بدأوا مع مرور الوقت بالتعرف أكثر على المجتمع السوري وثقافته، ومن ثم تعاطفوا أكثر مع التركمان السوريين.

وانطلاقاً من تجربته، يؤكد رامي أن القوميين الأتراك هم أكثر الأتراك تعاطفاً مع التركمان السوريين بوصفهم تركماناً، ويحبونهم، ويفضلونهم على غيرهم من السوريين. في حين لا ينكر أبو رامي وجود هذا التعاطف، ولكنه يشدد على ضرورة عدم المبالغة في تقدير حجمه الفعلي، إذ أن الأتراك «بيعتبروك سوري أكتر من تركماني» في نهاية المطاف.

ويمكن القول بأن الشعور بالاغتراب في سوريا في حالة الأب والابن ناجم عن حقائق عدة متداخلة فيما بينها، الأولى أنهم تركمان، أي من مكون ثقافي يعاني بالأساس من تهميش هويته الثقافية، وهي هوية لم تنل حقها في أن تنتظم لتعبر عن نفسها؛ والثانية أنهم عاشوا في سوريا بوصفهم نازحين، أي أنهم أجبروا على ترك أرضهم نتيجة الاحتلال الإسرائيلي للجولان، والعيش في أحياء وضواحٍ فقيرة بُنيت على عجل تحيط بدمشق؛ الحقيقة الثالثة تكمن في معيار

تصنيف الآخر من خلال منظور طبقي معمول به -بطريقة أو بأخرى- في دمشق، وسواها من المدن السورية الكبرى، قائم على النظر نظرة دونية إلى الطبقات الاجتماعية القادمة من الأرياف أو إلى غير الدمشقيين «الأصيلين»[1]. زد على ما تقدم أن قسماً كبيراً من نازحي الجولان السوري المحتل -سواء أكانوا تركماناً أم عرباً أو سواهم، ممن عاشوا تجربة النزوح في بلدهم الأم من دون مساعدات حكومية فعلية- يعيش الآن تجربة اللجوء في تركيا بلا مساعدات حقيقة من قبل الحكومة التركية، ما يعمق مأساتهم. فالترحيب الودي باللاجئين السوريين في المستوى الشعبي التركي، والتعاطف معهم، قابله في المستوى الحكومي ترحيب بهم ولكن بوصفهم «ضيوفاً». إلا أن هذا «الضيف»، يتوجب عليه أن يعمل بأي طريقة، ولو بأجر زهيد، لكي يؤمن ما يسد رمقه، ويدفع أجرة بيته، ويغطي احتياجات عائلته الضرورية[2].

---

(1) عبارة «من جوا السور ولا من براته»، ونظرة بعض الدمشقيين الدونية لأهل حوران ولنازحي الجولان أو للاجئين الفلسطينيين، لها ما يقابلها في حماة من خلال التمييز على أساس تقسيم المدينة نفسها بين «السوق» و «الحاضر»، وفي حمص في التمييز ما بين أحيائها، وفي التشديد على أصالة العائلة الفلانية، فيكون الآخر في هذه الحالة «غير أصيل»؛ وفي حلب ضمن النظرة الدونية لذوي الأصول الفلاحية، حتى ولو كان الحلبي نفسه صاحب النظرة الدونية من طبقة فقيرة، ولا تخرج المدن والمناطق السورية الأخرى عن ذلك. ورغم محاولة الكثيرين تحجيم هذا «الموروث» وإظهاره على أنه ليس إلا مسائل فردية تختلف بين شخص وآخر حسب تربيته وثقافته، وتركيزهم على ضرورة عدم التعميم، إلا أن عدم معالجة هذا «المرض الاجتماعي» بجدية يجعل منه ظاهرة اجتماعية شبه سائدة، يمكن لها أن تظهر بوضوح من خلال مضمون كثير من النكات والطرائف المتداولة.

(2) خلال مدة عملي التي تجاوزت العام بوصفي مدرساً في بعض المدارس السورية في إسطنبول خلال العامين 2014 و2015، والاحتكاك اليومي بالسوريين وقضاياهم خارج إطار العمل، يمكنني القول إن نسبة تسرب الأطفال من الدراسة كبيرة جداً، ومخيفة، حيث لا يملك الكثير من الأهالي قدرةً على دفع رسوم المدارس السورية لأبنائهم؛ وهي مدارس خاصة، نفعية في معظمها؛ وبدلاً من ذلك ينزل الطفل إلى العمل في سن =

أكد رامي ما يفترضه الباحث بأن الحكومة التركية لا تحبذ منح التركمان السوريين الجنسية التركية، وذلك لكي يعودوا إلى سوريا بعد انتهاء الحرب بما يفيد تقوية النفوذ التركي في سوريا بواسطتهم مستقبلاً، أي توظيفهم كورقة سياسية مجدية، كما أكد أنه قد سمع شيئاً من قبيل ذلك في محيطه، ممن يتذمر من بطئ إجراءات منح الجنسية التركية للتركمان مقارنة مع غيرهم، وذكر بأن بعض جمعيات التركمان السوريين قد شرعت بالمطالبة لدى الجهات التركية المسؤولة بتسريع إجراءات حصول التركمان السوريين على الجنسية التركية وضرورة عدم تجاهل مطالبهم.

يشعر رامي بأن تركمان الجولان أضعف من نظرائهم تركمان حلب واللاذقية، وبالتالي أقل حظاً لدى السلطات التركية. وفي تفسير ذلك يمكن ذكر عدة أسباب، كالعدد الكبير نسبياً لتركمان حلب واللاذقية، وانتظامهم في المجتمع على أسس عشائرية، وقربهم من الحدود التركية، وحفاظهم على لغتهم- العمود الفقري لهويتهم الثقافية، وأخيراً كونهم في مدنهم وقراهم، لم يُهجروا منها قسرياً حتى اندلاع الحرب في سوريا في عام 2012، فكان من السهل عليهم التكتل لاحقاً في أحزاب وجمعيات سياسية واجتماعية في تركيا، بل وتأسيس ميليشيات عسكرية في مناطقهم بدعم تركي، لعبت دوراً بارزاً ضمن الصراعات العسكرية في سوريا.

وفيما يتعلق بالهوية الثقافية وإشكالاتها في المنفى التركي، فقد كان أبو رامي يقدم نفسه للآخر التركي بدايةً على أنه سوري، فإن سُئل عن أصله، أجاب بأنه تركماني؛ ومع مضي الأيام بدأ يقدم نفسه بأنه سوري تركماني. وأفاد بأنه كان يشعر بنوع من الحنين لتركيا «وطن الأجداد» عندما كان لا يزال يعيش في سوريا، وكان مجرد ذكر اسمها أمامه يشعره بشيء ما يخصه، إلا أن هذا الشعور تغير عقب إقامته في تركيا - اختفى.

= مبكرة ليساعد العائلة في تغطية مصاريفها الكبيرة في إسطنبول- المدينة «الطاحونة» كما يسميها الأتراك أنفسهم.

لم يعتدْ أبو رامي الحياة في تركيا تماماً، على الرغم من مرور خمس سنوات على إقامته فيها (حتى تاريخ المقابلة)؛ فهو لا يشعر حتى الآن بأنها وطنه، وإنما تأقلم مع الظروف التي أجبرته على مغادرة وطنه (سوريا) الذي اشتاق إليه، ويؤكد أنه سيعود إلى سوريا حين تستقر الأوضاع فيها، بصرف النظر عن رغبة أبنائه في البقاء في تركيا؛ كما يشير إلى أنه سيترك لأبنائه حرية اختيار شريك الحياة، بصرف النظر عن تفضيله الشخصي أن يكون من عائلة تركمانية.

أما الابن، فيقدم نفسه للأتراك على أنه تركماني من سوريا. ولا يشعر بالندية مع الأتراك «بعد»، ولكنه مقتنع بأنه سيلقى ترحيباً ومساعدة حين يقتضي الأمر ذلك في الدوائر التركية الرسمية (على سبيل المثال)، «لأنه تركماني». ويشارك رامي كثير من أصدقائه التركمان بأحقية الحصول على الجنسية التركية «لأنهم تركمان». ولا يهمه أن يتعلم أبناؤه التركمانية مستقبلاً، وإنما يكفيه أن يتعلموا العربية والتركية الحديثة، لقناعته بأن التركمانية «ليست إلا جزءاً من التركية أو إحدى لهجاتها». ولا تشكل مسألة أن تكون زوجته مستقبلاً تركمانية أم لا قضية مهمة عنده. كما أنه لا يفكر في العودة إلى سوريا مستقبلاً حتى وإن انتهت الأزمة فيها، فقد تشكل وعيه بوصفه شاباً في تركيا، وأسس لحياته فيها، ومضت بضعة سنين على إقامته فيها، وله فيها أجمل الذكريات؛ كما أنه أتقن اللغة التركية، وفهم المجتمع التركي وفلسفته في الحياة؛ باختصار: اندمج في المجتمع التركي.

3 - الطالب الفخور بأنه سوري[1]

ولد ياسين في قرية راعل في عام 2000، وتقع هذه القرية في ريف حلب

(1) الحسون حسام، تركمان راعل ما بين سوريا وتركيا، مقابلة مع ياسين درمش، أجريت عبر الانترنت، [د.ن]، 2018

الشمالي، وقد قدر عدد سكانها قبيل الثورة السورية بنحو 5000 نسمة. القرية تركمانية، ويقال بأنها من جد واحد اسمه بوزكورت (بالتركية Buzkurt). وقد كانت العلاقات بين قريته والقرى المجاورة لها «علاقات عادية» لا يشوبها خلافات أو إشكالات. ولدى ياسين أربع أخوات، كلهن متزوجات بتركمان من أقاربهن.

اللغة التركمانية هي لغة العائلة ولغة التخاطب البيني في القرية. كذلك الأمر في المدرسة بين الطلاب. يذكر أن شيخ الجامع كان عربياً، لكنه تعلم مع عائلته اللغة التركمانية خلال مدة إقامتهم في راعل. كما يذكر بأن أهل قريته كانوا يكتبون التركمانية بالأحرف العربية، أي العثمانية.

ويذكر ياسين أن أهل قريته كانوا يغنون بلغتهم التركمانية في أعراسهم، بل أن «بعض المطربين كانت لغتهم العربية ضعيفة». ولا يذكر حادثة قامت فيها السلطات السورية بقمع مناسبة اجتماعية تقام باللغة التركمانية. وقد لاحظ فيما بعد أن مدينة غازي عنتاب التركية تتكلم لهجة تركية مشابهة إلى حد كبير لتركمانية قريته.

ينفي ياسين وجود ما يميز التركمان في المظهر عن غيرهم من جيرانهم العرب في منطقته. ويذكر بأن الملابس التقليدية قد بدأت بالاختفاء منذ ثمانينيات القرن العشرين كالشروال (Şalvar) و«الفاس» (Fes) وهي قبعة حمراء أصغر من الطربوش قليلاً (يمكن القول بأنه لباس عثماني تقليدي خاص بالمنطقة ككل). يذهب للقول بأن أوضاع أهل قريته كانت صعبة من الناحية الاقتصادية، لكن الأمر لم يصل إلى مرحلة وجود متسولين. والتركمان مشهورون بحرفة صناعة الأحذية، ولا يوجد نوع أو موديل معين للإنتاج، وإنما جميع الأنواع حسب طلب السوق.

نزح ياسين إلى تركيا مع عائلته في عام 2012 بسبب الحرب في سوريا، ولا

يوجد سبب أكثر خصوصية. وقد أقامت العائلة بداية في مدينة غازي عنتاب، ومن ثم انتقلت إلى إسطنبول؛ حيث أنهى مرحلة التعليم الثانوي في إحدى المدراس السورية، وتم قبوله لدراسة الطب في جامعة جنق كاليه (Çanakkale)، إلا أنه يريد دراسة العلوم السياسية أو الحقوق.

يؤكد ياسين أن الأتراك في البداية لم يميزوا بين السوريين على أساس عرقي، وإنما عاملوهم معاملة واحدة بوصفهم سوريين، ولكن مع مرور الأيام بدأوا بالتعرف إلى المجتمع السوري، ومن ثم تعاطفوا أكثر مع التركمان السوريين «بحكم أن الأتراك عموماً يتعاطفون مع التركمان، ويتعاملون معهم على أنهم أقارب وليسوا أجانب». وهذا ما يفسر ملاحظته بأن بعض السوريين العرب يتملقون الأتراك بالادعاء بأنهم تركمان أو بأن أجدادهم تركمان، بما يفيد كسب تعاطف الأتراك معهم.

يشعر ياسين أحياناً بالاغتراب في إسطنبول، ويفسر ذلك باختلاف العادات والتقاليد وبانشغال الناس بالعمل المتواصل من دون إيلاء أهمية كبرى للعلاقات الاجتماعية. إلا أنه لم يشعر بالغربة مطلقاً في غازي عنتاب. وأصدقاؤه في الغالب تركمان، قلةٌ منهم عرب.

يرى ياسين نفسه سورياً، ويقدم نفسه للآخر التركي على أنه سوري تركماني، ولا يستطيع أن يقدم نفسه على أنه تركماني سوري. ويشعر بندّية كبيرة إزاء الأتراك، كما يذكر بأن التركماني السوري يشعر بأنه يتساوى مع الأتراك في الحقوق، على الرغم من اختلاف الوضع القانوني بين التركمان السوريين بوصفهم «ضيوفاً» مع المواطنين الأتراك.

يولي ياسين أهمية لمسألة أن يتعلم أبناؤه مستقبلاً اللغة التركمانية «لأنها لغة الأجداد». ويقول بالعودة إلى سوريا مهما طال الزمن «لأن إسطنبول غربة».

4 - تركمان وعرب- تعايش سلمي في سوريا واندماج ناجح في تركيا

ولدت أمينة الشيخ في حي الهلك التركماني في مدينة حلب في عام 1990. والدتها تركمانية، وهي ربة منزل تقارب السابعة والخمسين في عمرها، تعود أصول أسرتها إلى قرية «قرة مزرعة» على الحدود بين ولاية كيليس التركية ومحافظة حلب السورية، ويقع قسم من القرية على الجانب التركي من الحدود ويسمى «حميلة»؛ وقد استقرت عائلتها لمدة في قرية اسمها «قره غوز» السورية قبل انتقالها إلى حي الهلك في حلب؛ وتذكر أمينة أن أقارب أمها لم يتوقفوا سابقاً عن زيارتها في الأعياد قادمين من ولاية كيليس.

أما والد أمينة فهو عربي، عمره يقارب الخامسة والستين، عاش بين التركمان في حي الهلك، وتزوج منهم، كما تعلم منهم حرفة صناعة الأحذية -أي الحرفة الرئيسة لتركمان حلب- حتى أصبح معلم حرفة وصاحب ورشة لصناعة الأحذية في ذلك الحي.

لأمينة ثلاث أخوات، وخمسة إخوة، يعيشون كلهم في تركيا باستثناء شقيقين يقيمان في دبي. ولها عم واحد، وعمات كثر، والعلاقات مع عمومتها ضعيفة، عكس علاقاتها مع أخوالها وأقارب أمها ومحيطها التركماني في حي الهلك.

درست أمينة اللغة التركية وآدابها في جامعة حلب، وترفعت إلى السنة الدراسية الثالثة قبل أن تضطر إلى قطع دراستها والسفر مع أهلها إلى تركيا نتيجة اشتداد الحرب في سوريا عام 2013. ولم تكن تتحدث اللغة التركمانية سابقاً على الرغم من أنها كانت تفهم كل ما كانت تسمعه بالتركمانية من أمها وأقاربها وجيرانها وصديقاتها من التركمان، ولما كانت والدتها تكثر من الاستماع إلى الراديو والتلفزيون التركيين، ولكونها درست اللغة التركية الحديثة في الجامعة، وعاشت فيما بعد في تركيا، فقد تحدثت أمينة اللغة التركية الحديثة فيما بعد بشكل سلس.

ومع انطلاق الثورة السورية لجأ بعض أخوتها الشباب إلى تركيا تجنباً لاقتيادهم إلى الخدمة العسكرية، واستقروا في إسطنبول، ما سهل انتقال باقي العائلة إلى هناك مباشرة، حيث استقروا في محلة سلطان تشفتلي (بالتركية Sultançiftliği Mahallesi) في حي سلطان غازي (بالتركية Sultangazi ilçesi)، أما السبب المباشر الذي دفع ما تبقى من عائلة أمينة إلى مغادرة سوريا إلى تركيا عام 2013 فقد كان علاج والدتها التي كانت تعاني من مرض السكري إضافة إلى إجراء عمل جراحي (ركب اصطناعية).

زوجها براء الشهابي، معلم رياضيات ناجح. ولد في مدينة الباب في عام 1989، وهي مدينة تقع في ريف حلب الشمالي غالبية سكانها من العرب، وتضم هذه المدينة أحياءً تركمانيةً، حيث كوّن براء صداقات مع تركمان ما زالت حيّة تتفاعل إلى يومنا في إسطنبول. درس براء الرياضات في جامعة حلب وتخرج منها عام 2014. عمل خلال مدة دراسته وبعد تخرجه في تعليم الرياضيات في معاهد خاصة لطلاب المرحلتين الأساسية والثانوية. بدأت أحواله تصعب نتيجة ظروف الحرب في سوريا، إذ كان مضطراً إلى التنقل بين مدينة الباب (التي فقد النظام السيطرة عليها مبكراً عقب الثورة السورية) حيث سكنه، ومدينة حلب حيث دراسته الجامعية، وتم توقيفه في إحدى المرات من قبل إحدى الحواجز الأمنية التابعة للمخابرات الجوية السورية لمدة تزيد عن يوم[1]؛ وساءت الأوضاع أكثر بعد سيطرة تنظيم داعش على مدينة الباب، إذ ما لبث أن أصبح براء بعد مدة قصيرة مطلوباً من قبل الدواعش لتهم عدة، منها: «تعليم الفتيات في أماكن مشبوهة (أي مكتب دورات تعليم الرياضيات) حسب المناهج السورية النظامية»، ما اضطره إلى الهرب إلى تركيا.

(1) ذكر براء أن مدة التوقيف استمرت «يوم وساعتين، أي 24+2=26». هذه الدقة في حساب المدة ليس مردها كونه أستاذ رياضيات فحسب، وإنما لقسوة هذه التجربة التي قد تقاس بالدقائق أحياناً.

تذكر أمينة أن معظم سكان حي الهلك كانوا يعملون في صناعة الأحذية، وكانوا يصدّرون قسماً كبيراً من منتجاتهم إلى تركيا، وبأن الوضع المعيشي في حي الهلك كان جيداً، ويغطي مردود صناعة الأحذية نفقات العائلة حتى وإن كانت كبيرة؛ وتضيف أن كثيراً من التركمان تمكّن من تملّك أراضي ومزارع في حلب وريفها.

وتفيد أمينة بأن تركمان حي الهلك كانوا يفضلون التجمع معاً، وينتظمون في المجتمع على أساس انتمائهم إلى قراهم في ريف حلب؛ فإن دخلت إحدى العائلات في شجار مع عائلة أخرى، يأتيها العون من عائلات أخرى من القرية أو العشيرة نفسها، فيصطفون لمؤازرة بعضهم البعض متناسين الخلافات القديمة إن وجدت. وكثيراً ما سمعت أمينة في طفولتها عبارة «أجدادنا السلاجقة» حين كان التركمان يتلون المرويات الشفهية عن تاريخهم.

وتقول أمينة بوجود «عنصرية» عند تركمان الهلك تجاه العرب قد تصل إلى حد احتقارهم، كأن يذكر أحدهم لآخر إن حدث له إشكال مع شخص عربي: «عربي ايش ح يطلع منو.. عربي خاين» أو: «أصلاً كل العرب خاينين»، في إشارة تاريخية لتعاون قسم من العرب مع الحلفاء ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى؛ وفي المقابل لا تستذكر أمينة وجود عنصرية مضادة أو نظرة احتقار للتركمان من قبل الطرف العربي.

لا يذكر كل من براء وأمينة وجود حادثة قمع قامت بها السلطات السورية تجاه التركمان السوريين قبل الثورة السورية، أو وجود لمظهر من مظاهر الاضطهاد ضدهم على الإطلاق، بل يؤكدان أن جيرانهما التركمان -سواء في مدينة الباب أم في حي الهلك في حلب- كانوا يعيشون «متل ما بدن طالما أنهم لا يتدخلون في السياسة»، وهذا ما ينطبق على السوريين بصورة عامةً. وأبعد من ذلك، بنى بعض التركمان علاقات فردية جيدة مع بعض ممثلي السلطة في

مناطقهم، لاسيما أولئك الذين كانوا يتعاطون التهريب على الحدود السورية- التركية، حيث كانوا يقدمون لمتنفذي السلطة «هدايا» (رشاوى)، ما سمح لهم بتكوين شبكات اتصال ومعارف شخصية ضمن هذه الأوساط ساعدتهم على تسيير أعمالهم في بعض أجهزة الدولة. ولا يذكران وجود شخصيات تركمانية تبوأت مناصب عالية في الدولة قبل الحرب.

وفيما يخص اللغة التركمانية، يمكن القول بأن تركمان مدينة حلب يشذون عن قاعدة «استعرب تركمان المدن السورية الكبيرة مع مرور الزمن»، إذ تذكر أمينة أن بنات خالاتها قد تركن دراستهن بسبب ضعف لغتهن العربية الشديد. وترى أن تركمان حلب قد تمكنوا من الحفاظ على لغتهم، وأن الاختلافات بين التركمانية والتركية في الكلمات المشتركة هي «في اللكنة». وتميز أمينة بعض الفوارق بين التركمانية والتركية الحديثة فتظهرها وكأنها اختلافات بسيطة بين لهجتين، وليس بين لغتين، مثل طريقة لفظة حرف القاف والكاف والخاء، وكذلك كثرة استخدام الكلمات العربية في التركمانية، «فمثلاً يستخدمون [تقصد التركمان] الأسماء العربية للأدوات الكهربائية، غسالة مثلاً»؛ وتؤكد أمينة على تماثل لهجتي تركمان حلب وغازي عنتاب.

ويرى براء أنه من الصعب على التركي أن يميز التركماني من لهجته، طالما أن الأخير لا يستخدم كلمات عربية في حديثه. ويذكر حادثة تلاقي اثنين من التركمان السوريين مصادفةً، كانا يتحدثان باللغة التركية الحديثة بطلاقة لدرجة أن كل منهما لم يستخدم لكنة أو كلمة تركمانية، فظن كل منهما الآخر تركياً، ما يقدم دليلاً على الاندماج الناجح للتركمان السوريين في تركيا.

وتوافق أمينة على أن بعض الأتراك قد يظنون أن التركماني تركياً يتحدث لهجة إحدى الولايات التركية التي لم يزوروها سابقاً، فتركيا بلد كبير وواسع جغرافياً، حتى أنها نفسها قد يلتبس عليها تمييز التركماني من لهجته في تركيا،

وأحياناً أخرى تظن أنها تخاطب تركمانياً، ولكنها تفاجأ بعد أن يعرّف عن نفسه بأنه تركي من ولاية أورفة أو أديمان (بالتركية ADIYAMAN)، ما يقدم دليلاً على تشابه لهجة أتراك هذه المناطق مع لهجة تركمان حلب تشابهاً كبيراً. وفي المقابل، تذكر أمينة أن لها صديقة من تركمان الجولان لا تفهم عليها «ولا كلمة» حين تتحدث التركمانية بلهجة تركمان الجولان.

وتنفي أمينة وجود ما يميز التركمان في مظهرهم عن غيرهم من السوريين، وتفيد بأن طبخهم حار المذاق بصورة عامة، قد يصل إلى درجة المبالغة أحياناً في إضافة الفليفلة الحارة في بعض المأكولات؛ ومن أكلاتهم المميزة صنف يشبه الكبة النية، مكوناته: البرغل والخس والرمان ودبس البندورة ودبس الفليفلة الحارة وبصل وبقدونس، يطلقون عليه «كفته»، وقد لاحظت أمينة فيما بعد وجود هذه الوجبة في تركيا، وتسمى هناك «كيسير» (بالتركية Kısır)[1].

وتجد أمينة أن العرس المشترك هو ما يميز العرس التركماني عن أعراس العرب في مدينة حلب، إذ لا يوجد تقيد بفصل النساء عن الرجال خلاله. وترتدي بعض التركمانيات خلال الأعراس ثياب فلكورية ملونة ومزركشة من منتجات غازي عنتاب التركية، يتباهين بها أمام بعضهن، هذه الملابس تمثل قسم من بضائع كان يتم إدخالها إلى سوريا من تركيا عن طريق التهريب، أو بكميات صغيرة كمتاع شخصي خلال السفر الفردي ما بين طرفي الحدود؛ حيث كانوا يصطحبون معهم خلال السفر إلى تركيا بضائع سورية مثل السكر والشاي والزيت وسواها. ووليمة العرس التقليدية هي فريكة باللحم مع مرق البطاطا. وتذكر بأن مهر العروس وصل إلى 300 غرام ذهب عشية انطلاق الثورة السورية ما يدل على بحبوحة الأوضاع الاقتصادية لتركمان حي الهلك.

وكان تركمان حي الهلك ومدينة الباب يغنون بلغتهم في أعراسهم، ويقيمون

(1) انظر الرابط: https://goo.gl/dai8D2

بعض حفلاتهم في الشوارع العامة. ويذكر براء وجود بعض الأغاني التركمانية المعروفة لدى العرب والتركمان على حد سواء، مما قد يُغنى أحياناً في حفل عرس عربي إن صدف وجود ضيوف تركمان فيه، حيث يتم تخصيص فسحة من الوقت تتيح للضيوف التركمان تقديم رقصة تركمانية يؤدونها بأنفسهم على أنغام إحدى أغانيهم.

وقد شعرت أمينة بغربة كبيرة في أيامها الأولى في إسطنبول، وتفسرها بأنها كانت «غربة مكان»، وليست «غربة ناس»، فقد كانت قادرة على التواصل لغوياً مع المجتمع التركي. وكانت ترغب في العودة إلى سوريا بشدة، بغية استكمال دراستها، وبقيت على هذا الحال لمدة سنة، ثم تخلت بعدها عن الفكرة التي بدت صعبة التحقيق.

وتقدم أمينة نفسها للأتراك على أنها سوريا لأم تركمانية، ولا تقول بأنها تركمانية بصورة مباشرة. وقد شعرت بالندية في تعاملها مع الأتراك منذ الأيام الأولى لوجودها في تركيا. وأمضت السنة في تركيا من دون عمل، ومن ثم عملت في تعليم اللغة التركية في مدراس اللاجئين السوريين، وبعدها مع منظمة أسام (بالإنكليزية ASAM وبالتركية SGDD)[1] في ميدان الترجمة بين اللغتين العربية والتركية، ومن ثم تزوجت ببراء في إسطنبول عام 2015، وبعد مدة قصيرة عملت في المنظمة ذاتها بصفة متخصصة اجتماعية في ميادين: صحة المرأة، والعنف ضد المرأة، وزواج القاصرات، وغيرها. وتعمل حالياً ضمن مشروع «للدمج بين السوريين والأتراك» في المجتمع التركي، ويتسع مجال عملها ليشمل -إلى جانب اللاجئات السوريات- اللاجئات العراقيات والفلسطينيات والإيرانيات والأفغانيات وغيرهن.

---

(1) للمزيد من المعلومات عن هذه المنظمة انظر موقعها الرسمي على الرابط:
http://en.sgdd.info

وفيما يخص موضوع اندماج السوريين في المجتمع التركي، تقسم أمينة السوريين إلى قسمين، قسم مستعد للاندماج، فتعلم اللغة بسرعة، وأظهر قابلية للتفاعل مع المجتمع التركي؛ وقسم آخر يرفض الفكرة من أساسها على الرغم من مرور ست أو سبع سنين على تواجدهم في تركيا؛ وهذا القسم هو مجال عملها في منظمتها، أي مساعدتهم على الاندماج.

فأكبر العوائق أمام اندماج كثير من السوريين في المجتمع التركي هو تعلم اللغة التركية، لاسيما وأن الحكومة التركية لم تتح دورات مجانية عامة لتعليم اللغة التركية للسوريين، وإنما تركت الأمر منوطاً برغبتهم وبقدرتهم على تحمل الأعباء المادية المترتبة على ذلك بصورة فردية، من دون أن يخلو الأمر من حصول بعض السوريين على منح لتعلم اللغة التركية من مؤسسات تركية حكومية وخاصة. وعليه، فإن التركمان السوريين -كما ترى أمينة- أكثر قدرة على الاندماج من غيرهم، و«كانوا محظوظين أيضاً، حيث أن علاقاتهم أقوى مع الأتراك».

تصف أمينة علاقات بعض التركمان السوريين بباقي السوريين بأنها «شوفة حال»، و«غرور»، «بس لأنن تركمان»، على الرغم من أن الأتراك ينظرون إليهم على أنهم سوريون في نهاية الأمر. وأكدت على الدرجة العالية من الندية في خطاب التركمان السوريين مع الأتراك، ومن ذلك أنها قد صدفت خلال عملها امرأة تركمانية في إحدى المستشفيات التركية كانت غاضبة لأنها لا تحتمل الانتظار كثيراً، وتصرخ على الموظفين الأتراك قائلة ben Turkman'ın، أي أنا تركمانية، مفترضةً أن ذلك يعطيها امتيازاً على باقي المرضى والمراجعين، وبأن لها الأولوية عليهم، فيأتي الرد من الموظف التركي (بلهجة ساخرة): ne demek yani?، أي: ماذا يعني ذلك؟

تؤكد أمينة وجود تعاطف تركي مع التركمان السوريين بصورة خاصة، لا سيما ضمن الشريحة العمرية الأكثر تقدماً في العمر. كما يُظهر المثقفون الأتراك

تعاطفاً كبيراً مع التركمان السوريين، وقد لاحظت أمينة ذلك من صديقاتها التركيات ممن يدرسن اللغة التركية وآدابها، فما إن يذكر المرء أمامهن كلمة «تركمان» حتى يلاحظ على الفور مدى اهتمامهن بالموضوع وتعاطفهن معه - «ما إن تسمع وحدة منن (كلمة) تركمان، عيونا بيلمعو، وتقول لي: جاي على بالي أحضن كل واحد تركماني». ومما يفسر ذلك التأثير القوي للدعاية القومية التركية في المجتمع التركي، خاصةً ما يركز منها على تاريخ الأتراك، الأمر الذي يقوي التعاطف مع الآخر على أساس قومي-عرقي، كحالة السوري أو العراقي -على سبيل المثال- الذي يدفعه الشعور القومي إلى الترحيب التلقائي بالمصري أو اليمني على أساس الانتماء الواحد (المفترض) للعروبة.

يؤيد كل من براء وأمينة افتراضنا بأن السياسة التركية لا تحبذ استدعاء التركمان السوريين لمباشرة إجراءات نيل الجنسية التركية، بما يضمن عودتهم إلى سوريا بصورة خاصة مستقبلاً. فحصول العرب أو الأكراد السوريين على الجنسية التركية أسهل (من وجهة نظرهما) من نظرائهم التركمان، ويؤكد براء أن الأفضلية للعرب السوريين في هذه المسألة، كما سمعا شكوى من تركمان سوريين حول تقصير متعمد من قبل السلطات التركية في حيال هذه المسألة. أما في حالة كان السوري هو من يطلب الحصول على الجنسية التركية، فإن كان مستوفياً للشروط القانونية العامة، فسينالها، سواء «إن كنت كردي متل صديقنا عدنان، وإن كنت عربي متلي، وإن كنت شاوي متل صديقنا فاروق، وإن كنت تركماني متل صديقنا أحمد ويس، ما في فرق [...] حال استوفيت الشروط القانونية». كما لاحظت أمينة أن نسبة تجنيس التركمان السوريين قليلة، وبأنها سمعت شائعات تفيد أن قسماً كبيراً من تركمان الجولان قد تم استدعاؤه للمباشرة في إجراءات منح الجنسية التركية.

وتتبنى أمينة موقفاً رافضاً لفكرة أن يتزوج أبناؤها مستقبلاً من تركمان أو

من أتراك، وتعلل ذلك بكثر التجارب الفاشلة التي عاينتها عن طريق عملها أو في محيطها الاجتماعي لزيجات نساء سوريات بأتراك انتهت بالفشل والطلاق، وترى أن سبب الفشل يعود إلى استغلال بعض ضعيفي النفوس من الأتراك الأوضاع الصعبة لبعض العائلات السورية اللاجئة، ما يقدم فرصة للحصول على خادمة تحت مسمى الزوجة، تهتم بأولاده حال كان مطلقاً، أو بأمه المسنة. وتشير أمينة إلى وجود إحصائيات كبيرة لحالات زواج عرفي، أي من دون سندات قانونية، لأتراك تزوجوا بنساء سوريات صغيرات نسبياً، ممن لا يلبثن أن يُطلّقن بعد مدة قصيرة من زواجهن، ما يرقى إلى الغدر بهن، وخداعهن. ولا يقتصر الأمر على النساء العربيات السوريات (إن افترضنا أن العامل اللغوي قد يلعب دوراً مهماً في عدم إيجاد صيغة للتفاهم بين الزوجين)، بل تؤكد أمينة وجود حالات كثيرة لتركمانيات طُلقن بعد مدة قصيرة من زواجهن. ويوافق براء زوجته الرأي في عدم الرغبة في تزويج بناته لأتراك مستقبلاً، ويضيف: «بدي فكر ألف مرة قبل ما أعطي [قبل أن أوافق على تزويج ابنتي لتركي، ألف وألفين وتلاتة؛ وإذا إجاني عريس سوري، كمان رح فكر كتير، بس مو متل التفكير لما يكون تركي».

لا ننسى هنا أن القانون التركي يجرم الزواج بأكثر من امرأة، ما قد يفسر أحد دوافع لجوء بعض ضعاف النفوس إلى هذه الطريقة لإشباع رغباتهم، كما أن بعضهم -خاصة ممن عجز عن تلبية المتطلبات المادية والاجتماعية لزواج بمواطنة تركية- يستغل أوضاع بعض العائلات السورية المعدمة لتقديم إغراءات مادية لأهل العروس بغية دفعهم إلى الضغط عليها وحضها على الزواج منه.

وفي الحالات السابقة لاحظنا أن طرفا الزواج فيها: رجل تركي وامرأة سورية، أما نسبة زواج رجل سوري بامرأة تركية فهي أضعف بكثير، إذ ترفض كثير من العائلات التركية تزويج بناتهن لشباب سوريين. فحتى تاريخ هذه المقابلة لا يذكر براء أو أمينة وجود حالة زواج سوري بتركية، باستثناء حالة واحدة حدثت

في غازي عنتاب لتركماني سوري، على الرغم من كونه «تركماني أباً عن جد، بس بيضل سوري، هويته [بطاقته الشخصية] سورية، بيقولولك Suriyeli» أي سوري، إذا لم يوافق أهل عروسه على تزويجها إياه. ولأنه كانت تحبه، هربت معه، وتزوجا بالخفاء؛ وبعد مرور مدة من الزمن، وإنجابهما طفلة، تصالحت العائلتان، ما يقدم مثالاً على درجة صعوبة زواج السوري بتركية. ويتفق كل من أمنية وبراء على أسباب الرفض التي تتنوع ما بين: كون العريس «سورياً»، أو من «العرب الخونة»، أو الجبناء الذين تركوا بلدهم- «لو كان منهم خيراً لكان لبلدهم الذي تركوه من دون الدفاع عنه. اللي بيترك [يترك] وطنه بيترك [يترك] كل شي» (القصد هو احتمال أن يترك زوجته مستقبلاً أيضاً).

ويذكر براء أن نقاشات تحتد بين السوريين والأتراك على أساس هذا التبسيط المغلوط لمآسي الحرب في سوريا وأهوالها، وطريقة الخروج منها، ليس فقط في المستوى الشعبي التركي، وإنما يتعداه إلى أوساط المثقفين الأتراك، كالنقاشات التي تحدث بين المعلمين السوريين والأتراك، لاسيما بعد قرار وزارة التربية التركية الإشراف على التعليم الخاص للسوريين وإتاحة استخدام المدراس بعد انتهاء الدوام الرسمي للطلاب الأتراك، ما أتاح مجالاً أوسع للاحتكاك بين المعلمين السوريين والأتراك. ويظهر المعلمون الأتراك ضمن هذه النقاشات إيمانهم بعدم جدوى الهرب من البلد خلال الحروب، ويشددون على ضرورة البقاء فيه، والدفاع عنه ولو كلف ذلك الموت. ويبدو أن هذه النقاشات قد تعمقت لدرجة أن بعض المثقفين السوريين قد بدأوا باستحضار أمثلة من التاريخ لدلالة على الحالات التي هربت فيها العشائر التركية أمام الغزو المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي تاركين موطنهم الأصلي في آسيا الوسطى، ومنها عشيرة «قايي» التي أسست فيما بعد الدولة العثمانية في آسيا الصغرى (تركيا الحالية). ويؤمن براء بقدرة النقاش المستند إلى دلائل وحجج على تغيير رأي طرف الحديث التركي

تجاه مسألة «هروب» السوريين من بلدهم و«عدم الدفاع عنه»، ما يجعل التركي يتفهم سبب اللجوء، ولكنه «في الأخير يقول: يا أخي معكن حق، بس هيك بلدكن ما رح يعمر، ما رح ترجع سوريا».

ويجد براء فكرة العودة إلى بلد مدمر بعد انتهاء الحرب مستحيلة، وتشاطره زوجته أمينة الرأي، وتشترط لذلك عودة كل شيء إلى ما كان عليه، وهو أمر مستحيل التحقق عملياً. ولا ننسى أن إسطنبول مدينة جميلة، ذات مناخ لطيف، كبيرة، وموقع جغرافي مميز، تتسع أفق العمل فيها، وتحتضن جالية سورية كبيرة؛ فلو كان براء وأمينة يعيشان في مدينة أو قرية صغيرة في الداخل التركي ذات إمكانيات وأفق مستقبلية ضعيفة لتغير ربما رأيهما بخصوص العودة إلى سوريا مستقبلاً.

كبر حجم إسطنبول وحاجة المرء لساعات طوال للتنقل فيها قد جعلهما يشعران بصغر حجم حلب مقارنة بها، ما يستدعي بين الفينة والأخرى مشاهد من الذاكرة تبعث على التندر، فعلى رأي براء «صار الواحد إذا يتذكر الماضي ويقارن مع الوضع الحالي يضحك على حالو. كنا عايشين وكأننا بغرفة صغيرة»، وتضيف أمينة «هداك اليوم كنا عما نحكي، إنو قبل، إذا الواحد بدو يروح من حلب لمنبج، أو ضيعة [أخرى]، يودع، ويضب شناتي، ويجو الأهل كلهم ليودعوه؛ هلأ عم نقطع [في إسطنبول] كل يوم نفس المسافة وأكتر».

ويستتبع براء حديثه، فيذكر أن والده قد عاد إلى سوريا إلى مناطق «درع الفرات»[1]. وفي حالة الأب، فقد أنفق معظم سنوات حياته في سوريا، وصنع مستقبله وعائلته فيها. إلا أن الأمر مختلف بالنسبة إلى الابن، براء! فقد انتهى كل

---

(1) نسبة إلى العملية العسكرية التي أطلقها الجيش التركي في الشمال السوري وسمّيت «عملية درع الفرات» (Fırat Kalkanı Harekâtı) في شهر آب 2016 ضد ميلشيات داعش و«قوات سوريا الديمقراطية»، حيث سيطر الجيش التركي بالتحالف مع بعض الميلشيات العسكرية السورية المعارضة على مناطق سورية في شمال حلب.

ما بناه في سوريا سابقاً، وأعاد تكوين نفسه وخططه المستقبلية في إسطنبول، فمن الصعب جداً عليه العودة والتخلي عن كل شيء بقرار إرادي؛ ويرى أن مستقبله موجود في تركيا، لاسيما بعد أن بدأت إجراءات نيله الجنسية التركية تتقدم، وكونه ينتظر المولود الأول له، ما يدفع على التفكير في الاستقرار أكثر، وهو أمرٌ غير متوفر حالياً في سوريا، لا سيما في شمالها.

ولم تعد مسألة الانتماء إلى سوريا بوصفها وطناً، أو البقاء في تركيا بوصفها وطناً بديلاً، مسألة ذات أهمية كبرى بالنسبة إلى أمينة، وتفسر ذلك بزوال ما كان يربطها بسوريا بعد مرور سنين على مغادرتها إياها، وتأسيسها لحياة جديدة في إسطنبول، والتكيّف مع نمط العيش فيها، وتضيف إلى ذلك عدم ثقتها بمستقبل سوريا الذي لا يزال مجهولاً.

ويفسر اختلاف تجربة كل من أمينة وبراء اختلاف رأيهما حيال أوضاع السوريين ومستقبلهم في تركيا، إذ أن طبيعة عمل أمينة تجعلها على احتكاك أكبر ومباشر بالوسطين الشعبيين السوري والتركي، حيث كانت شاهدة -من خلال تجربتها الشخصية في العمل مترجمة أولاً، ومن ثم متخصصة اجتماعية- على حالات سلبية كثيرة لتعامل بعض الأتراك مع السوريين، تنوعت بين التعصب، أو نظرة الدونية، أو الكراهية الناتجة عن تجربة شخصية فردية، أو في أحسن الأحوال تفضيل بعض الأتراك عدم الاحتكاك بالسوريين متأثرين بما تروجه الشائعات عنهم وعن ظروف الحرب في سوريا؛ في حين أن عمل براء في المؤسسات التعليمية جعله على احتكاك أكبر مع المثقفين السوريين والأتراك.

وتجد أمينة في «الخوف» سبباً كافياً لتغييب فكرة احتمال العودة إلى سوريا، حيث «جو المشاكل، والخلافات، والمظاهر المسلحة» ما يبعث في نفسها خوفاً كبيراً على عائلتها ومستقبلها، إلا أن ذلك لا يعني أنها تنظر بإيجابية إلى مستقبل السوريين في تركيا، إذ تجده مجهولاً أيضاً، سواء تعلق الأمر بالسوريين عامةً، أو

بالتركمان خاصةً. وتشير إلى تخوف السوريين من الصراعات السياسية والحزبية الداخلية التركية، «إن راح إردوغان وحزب العدالة راحت على السوريين»، وتضيف، حتى من نال الجنسية التركية من السوريين لا يثق بأنها ستبقى بحوزته، إذ يتخوف من إمكانية سحبها بموجب القوانين التركية ذاتها التي منحته إياها.

أما براء فلا يرى الأمر بهذه السلبية، ويرى أن مستقبل السوري في تركيا رهن بإرادته وعمله، ويستشهد بحالات لسوريين من محيطه الاجتماعي، نجحوا على صعيد العمل والاندماج، وحازوا على الجنسية التركية، وتملكوا منازل وسيارات ومشاريعهم الخاصة، وشعروا بالاستقرار، ومنهم من قام بإحضار باقي أفراد عائلته من سوريا؛ ويضيف براء، أن بعض الأتراك يشعرون بوجود مستقبل قوي للسوريين في تركيا، ويبالغ بعضهم مدعياً بأن مستقبل السوريين أفضل بكثير من مستقبل الأتراك أنفسهم.

وبذلك يمكن القول بأن المنفى التركي قد أسهم لدرجة كبيرة في إبراز التركمان السوريين بوصفهم مكوناً ثقافياً له حضوره المميز في المجالات الثقافية والسياسية ضمن مجتمع اللاجئين السوريين في تركيا. وقد لعبت عوامل مختلفة دوراً بارزاً في ذلك، يأتي في مقدمتها إجادتهم اللغة التركمانية بوصفها الوسيلة الأهم للتواصل مع المجتمع التركي؛ والتعاطف الشعبي التركي معهم بصورة خاصة، لاسيما ضمن أوساط الأتراك القوميين؛ وقد أتاح هذان العاملان فرصاً أكبر للتركمان السوريين في المنفى التركي، ابتداءً من تسهيل العثور على عمل، بما يعنيه ذلك من تحقيق شروط الاستقرار اقتصادياً واجتماعياً؛ مروراً بمرونة التعرف على الآخر التركي وتأسيس شبكات اجتماعية شخصية ضمن المجتمع التركي، بما يقوي فرص الاندماج فيه؛ وصولاً إلى تمكنهم/ تمكينهم من تأسيس هياكل مجتمعية وحزبية وسياسية على أساس هويتهم التركمانية، يؤمل منها تمثيلهم في المستويات الحكومية والمحافل السياسية المحلية والدولية.

خاتمة

حاول هذا البحث تبيان إلى أي مدى أسهمت تجربة المنفى التركي في إحياء السؤال الذاتي عن الهوية الثقافية لدى التركمان السوريين. وقدم الفصل الأول تصوراً عاماً عن هذا المكون الثقافي من النواحي التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية منذ بداية استقراره في منطقة الأوسط الحالية في العصور الوسطى وحتى انطلاق الثورة السورية في عام 2011؛ ومن ثم عالج الفصل الثاني أوضاع التركمان السوريين في مدينة إسطنبول من النواحي الاجتماعية والاقتصادية بوصفها المدينة التي احتوت التجمع الأكبر للاجئين السوريين في تركيا، ومنهم التركمان السوريون بطبيعة الحال، بما يفيد رصد التغييرات التي طرأت على هويتهم الثقافية في المنفى التركي.

توصل هذا البحث إلى أن المنفى التركي قد أسهم في إحياء السؤال الذاتي عن الهوية الثقافية لدى التركمان السوريين إسهاماً كبيراً، لاسيما لدى الجيل الأصغر منهم. فعلى الرغم من مأساة اللجوء والاقتلاع القسري من الأرض، بما يعني خسارة كل شيء تقريباً، إلا أن هذه التجربة القاسية قد حفّزت كثيراً من التركمان السوريين على تنظيم أنفسهم في المنفى التركي على أساس هويتهم التركمانية، حيث أسّسوا في تركيا جمعيات خيرية، ومنظمات سياسية، وهياكل حزبية، وصولاً إلى تشكيل مليشيات مقاتلة على الأرض السورية، وأرادوا بذلك

كله تمثيلهم بوصفهم مكوناً ثقافياً سورياً مميزاً، له مطالبه الخاصة، ومستعد للدفاع عنها، شأنه شأن باقي مكونات المجتمع السوري الأخرى، علماً أننا لم نستطع التوسع في معالجة هذه الجوانب بشكل معمق في هذه الدراسة وهو ما يحتاج إلى وقت وإمكانيات أكبر مما كان متاحاً ونتمنى أن يتاح لنا ذلك في دراسات لاحقة.

وأظهر تشبّث قسم كبير من التركمان السوريين بهويتهم الثقافية عموماً، وبلغتهم التركمانية خصوصاً، وتصاعد دفاعهم الذاتي عن هذه الهوية تصاعداً قوياً إبان الأزمة السورية، الفشل الذريع الذي منيت به السياسات القوموية في المستويات الحكومية، التي هدفت على مر عشرات السنين، عبر إجراءات مختلفة وأدوات متنوعة، تعريب بعض الأقليات غير العربية في سوريا. صحيح أن هذه السياسات أدت إلى إضعاف اللغات القومية لهذه الأقليات، عن طريق عدم السماح بتعليمها للأبناء، أو بتدريسها بصورة رسمية، إلا أن ذلك لم يكن يعني عدم الاستمرار بالتخاطب بها، واستخدامها بينياً؛ فما إن سنحت الفرصة حتى انتفضت هذه الأقليات على هذه الإجراءات القسرية. وفي حين بدأ الأكراد السوريون عملياً بتأسيس مدراس ومعاهد تنتظم لتدريس اللغة الكردية، كانت المفارقة أن اللغة التي انكبَّ أبناء التركمان السوريون على تعلمها في المنفى التركي لم تكن لغتهم الأم، وإنما التركية الحديثة، بما يعني عملياً انتقال التركمان السوريين من مرحلة التعريب القسري في سوريا سابقاً إلى مرحلة «التتريك الاختياري» في المنفى التركي لاحقاً.

ففي حين تخلى الأتراك عقب تأسيس الجمهورية التركية الحديثة عام 1923 عن اللغة العثمانية القديمة (كما ذكرنا مسبقاً)، لم تبقَ التركمانية على وضعها القديم فحسب، بل أُهملت، إذ لم يتم التعليم بها، أو تطوير مناهج وقواميس خاصة بها، أو ممارستها بصورة رسمية؛ ما يوضح الحجم الكبير للمشكلة التي تتجه

إلى التبلور على شكل معضلة يتوجب على التركمان السوريون التغلب عليها في حال أرادوا عدم اندثار هويتهم مستقبلاً، باعتبار اللغة أحد أهم الحوامل الأساسية للهوية الثقافية؛ وهو ما يتطلب جهداً كبيراً يضطلع به خبراء لغويون لإعادة هيكلة هذه اللغة، وتطوير وسائل مناسبة لها، وتأسيس بنى مؤسساتية ثقافية خاصة بها، بما يضمن إحياءها، ويتيح إمكانية تعليمها؛ وإلا فإنها ستكون معرضةً للزوال والذوبان في اللغة التركية الحديثة، اللغة التي تنكب الأجيال التركمانية الأحدث سناً على تعلمها في أيامنا هذه.

وإلى جانب ضرورة إحياء اللغة التركمانية والحفاظ عليها من الاندثار، فإن حفاظ التركمان السوريين على هويتهم الثقافية رهن بالاعتراف بهم مكوناً اجتماعياً سورياً أساسياً وكبيراً، له خصوصيته الثقافية، سواء أكان الأمر في سوريا أم في تركيا. ولا بد لهذا الاعتراف في سوريا من أن يتحقق ضمن إطارٍ دستوريٍّ يضمن التفاعل المنسجم بين المنتمين إلى هويات ثقافية متعددة ومتنوعة، ويحفز الرغبة في العيش المشترك فيما بينها على أسس العدالة الاجتماعية، وسلطة القانون، ونزاهة القضاء، وحقوق المواطنة، بما يكفل التماسك الاجتماعي في دولة المواطنة، ويشجع المواطنين على المشاركة في صناعة القرار ابتداءً من أدنى هرم الإدارة المحلية وصولاً إلى أعلى سلطة في الدولة؛ وبذلك تكون «التعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي»[1]، مع التشديد على عبثية فرض «تعددية ثقافية» بمنأى عن الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

كما يمكن التعويل على دور إيجابي يلعبه المكون الثقافي التركماني السوري في جسر العلاقات السياسية السورية-التركية مستقبلاً، هذه العلاقات

(1) انظر المادة الثانية من الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي الصادر عن المؤتمر العام لليونسكو في دورته الحادية والثلاثين التي عقدت في باريس 2001/11/2.

التي تتسم بطابع التوتر والعداء بصورة عامة؛ بما يصب في خدمة الشعبين السوري والتركي، ويخدم السلام والتنمية والازدهار في المنطقة برمتها.

وباستثناء قضية عدم السماح للتركمان بالتعليم بلغتهم الأم، أو الانتظام اجتماعياً وسياسياً على أساس هويتهم الثقافية، لم يتوصل البحث إلى ما يثبت أن السلطات السورية قد اضطهدت التركمان السوريين على أساس هويتهم القومية. ونعتقد أن أشكال الظلم كانت مشابهة لما كان واقعاً على معظم الشعب السوري، وليس على التركمان بحد ذاتهم. ومقارنة مع التجربة الكردية، نجد أن التجربة التركمانية السورية قبل عام 2011 لا تحتوي حادثة قمع حكومي خاص ضد نشاط سياسي أو مطالبة جماعية أو انتفاضة شعبية اتخذت شكلاً تركمانياً صرفاً، على الرغم من إيماننا بأنها لو حدثت لكان مصيرها القمع الأكيد.

كما نفى البحث ما يزعمه بعض المهتمين بالشأن التركماني، بأن السلطات السورية قد حظرت سابقاً على التركمان الغناء بلغتهم الأم التركمانية في أعراسهم؛ بل كانوا في بعض الأعراس يغنون أغنية أو اثنتين باللغة العربية احتراماً للضيوف العرب إن وجدوا؛ وأحياناً يأتون بمطربين: أحدهما تركماني، والآخر عربي، وكانت بعض الأغاني تركية، مما يُغنَّى في مدن غازي عنتاب وأضنة وسواها في تركيا[1].

أما فيما يخص مستقبل التركمان السوريين، ففي رأينا، إن الاتجاه الذي تسير فيه الأزمة السورية بمعطياتها الحالية، ووصولها إلى منزلقات خطيرة يشير بعضها إلى حدوث تغيير ديمغرافي في بنية سوريا السكانية؛ ويتعدى الأمر ذلك إلى احتمال تغيير شكلها السياسي نفسه؛ كل ذلك وغيره، يجعلنا نرجّح بقاء التركمان السوريين لمدة أطول في المنفى التركي، إن لم نقل الاستقرار النهائي فيه، لاسيما وأن الشرائح العمرية الفتية منهم قد حققت خطوات كبيرة على

---

(1) أكدت المقابلات الشخصية التي أجريناها على ذلك.

طريق الاندماج في المجتمع التركي من جهة، وبعد شروع الحكومة التركية في منح الجنسية التركية للاجئين السوريين في الآونة الأخيرة من جهة أخرى. فهل سيبقى التركمان السوريون يشكلون مكوناً ثقافياً سورياً مميزاً ضمن المعطيات الكارثية الراهنة للواقع السوري؟

ملاحق البحث

الملحق 1: أسماء الأحياء أو البلدات أو القرى التركمانية أو التي سكنها تركمان في سوريا

الجدول رقم 1: الأحياء التي يقطنها تركمان في مدينة حلب[1]

الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
الحيدرية	حيدرية	الهللك	هللك
بعيدين	بعيدين	قاضي عسكر	قاضي عسكر

الجدول رقم 2: القرى التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حلب / ناحية الباب[2]

الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
الزلف	زلف	المسنة	قوجه علي	الراعي	جوبان باي
الوقف	وقف	أم الثداية	ماململي	النهضة	قلقوم
خربت عسكر	عسكرين خربسيه	الكرسنلي	كرسنلي	الطويران	طويران

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin”, p. 13.
(2) Ibid, p. 10-11.

الوردة	أوكوز أولدران	العياشة	عياشة	هضبات	أدبات
الايوبية	عرب جورديك	الخليلية	خليل أوغلو	تل عطية	ألجي
حاج كوسا	حاج كوسا	حاجي ولي	حاجي ولي	العامرية	مازجي
تل هوى	هوى هيوك	تل ميزاب	جورتان هيوك	المثمنة	ساكيزلار
حليصة	حالصة	باب الحجر	تاش قابي	الزهرة	بلطاجك
بوغاز	بوغاز	السلسلة	سنسلا	مزرعة حاج والي	عشنين خربسه
ثلجة	بوزلجه	شيخ يعقوب	ملا يعقوب	قبة ياسين	باش كوي
جبين	جبين	بزاعة	بيزاعة	تليليه	تليليه
الاثرية	قبيران	صاندي	صاندي	باب ليمون	باب ليلم
الزيارة	زيرات				

الجدول رقم 3: القرى التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حلب / ناحية جرابلس[1]					
الاسم الحديث	**الاسم القديم**	**الاسم الحديث**	**الاسم القديم**	**الاسم الحديث**	الاسم القديم
تل شعير	تل شعير	ام روثة التحتاني	ام روثة التحتاني	جرابلس	جرابلس
القاضي	قاضيلار	عمارنة	عمارنة	بلباي	بلباي
طافلي	طافلي	تاش أتان	تاش أتان	بلبان	بلبان
شهيد ميرزة	ميرزة	دوقونك	دوقونك	زقرة	زقرة
المغيرة	ياغماجي	تل حجر	طاشلي هيوك	قنطرة	قنطرة
الفرسان	صباهيلار	بليس	بليس	سلوى	بلوى

(1) Ibid, p. 11.

حيدر باشا	حيدر باشا	النجمة	يلديز	عرب عزة	عرب عزيز
قبة تركمان	قبه	الغندرية	غندرية	غندرة	غندرة
النبقة	نبقه	زربة	زربة	تل أغبر	بوز هيوك
دندل أوغلو	دندل أوغلو	الكلية	كلله	تل جمل	زوقرة
غندورة	غافراللي	يوسف باي	يوسف باي	عين دادات	عين دادات
تل كبير	قوروجو هيوك	الافشارية الشرقية	دوغو افشار أوجاغي	دابس	دابس
تل علي	كاربجلي	عين السودة	عين السودة	جب الدم	قانلي قوي

الجدول رقم 4: القرى التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حلب / ناحية منبج[1]

الاسم الحديث	**الاسم القديم**	**الاسم الحديث**	**الاسم القديم**	**الاسم الحديث**	الاسم القديم
مزعلة	مزعلة	شفير	شفير	اوشارية قبلية	باتي أفشار أوجاغي
مغيرات	مغيرات	الجاموسية	جاموس فرن	بش جرن	بش جرن
قبر ايمو	قبر ايمو	بوزغيكلي	بوزغيكلي	حجر البيضة	اغ طاش
غزاوية	غزاوية	جب القادر	جب القادر	بير خلّو	بير خلّو
طوال	طوال	حمام صغير	حمام صغير	جوتا	جوتا
خرفان	خرفان	حيا كبير	حيا كبير	حيا صغير	حيا صغير

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 12.

الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
الجدول رقم 5: القرى التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حلب / ناحية أعزاز[1]					
شمرين	شمرين	تلالين	تلالين	كفر نايا	كفر نايا
برقيتا	برق أطلي	قرة مزر	قرة مزر	كفر شوش	كفر شوش
دودیان	دودیان	السلامة	سوجو	البيل	البيل
تلعار	تلعار	معرسة الخطيب	معرسة الخطيب	قرة كوبري	قرة كوبرو
تركمان بارح	تركمان بارح	يني يبان	يني يبان	جكه	جكه
راعل	إرعل	دلعة	دلحة	حرجلة	حرجلة
حوار كلس	حوار	عويلين	عويلين	معرين	معرين
صندرة	صمندرة	غدريش	غدريش	زيزفون	إغدة
مغيدين	مغيدين	جارز	جارز	شويرين	شويرين
تل شعير	تل شعير	بحوارتا	بحوارتا	كفر غان	كفر غان
احتملات	حتملات	مريمين	مريمين	الجينة	جينا
معرة الأرتيق	معرة الأرتيق	دويبق	تويبق		

(2)(1)

الجدول رقم 6: القرى التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حلب / ناحية عفرين[2]		
ايكي دام	جلمة	معراتة

(1) Ibid, p. 12-13.

(2) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 13.

الجدول رقم 7: القرى التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حلب / ناحية عين العرب[1]			
الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
غوروك	غوروك	هيالة	غوبك هيالة

الجدول رقم 8: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة الرقة[2]						
منارة	العزيزة	يارغوي	دغانية	تركمان شرقي	بير عطوان	جب العروس
تل حمام	سلوك	الواسطة	تل مندو	زيبقية	سرت	حمام تركمان غربي
رجم الجحش	خربة زريه	بلوى	قنطرة	دمشلية	تل فندر	

الجدول رقم 9: أحياء حمص التي يتواجد فيها التركمان[3]			
حي بابا عمرو	حارة تركمان	حي خالدية	منطقة بيضة

الجدول رقم 10: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حمص[4]					
الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
مشروع غناية	مشروع غناية	أكراد داسنية	أكراد داسنية	تسنين	تسنين
كسين	كسين	كنية العاصي	كنية العاصي	غرناطة	الغجر
ام القصب	ام القصب	حزور	الحزور	عرجون	عرجون

(1) Ibid, p. 13.
(2) Ibid, p. 20.
(3) Ibid, p. 15.
(4) Ibid, p. 14-15.

زعفراني	زعفراني	جوسي	جوسي	دار الكبير	دار الكبير
سماقيات	سماقيات	سنيسل	سنيسل	برج قاعي	قالا
تلبيسة	تلبيسة	قزحل	قزحل	خربة سودة	خربة سودة
سمعليل	سمعليل	جبب الزيت	جبب الزيت	كفر نان	كفرنان
ربيعة	ربيعة	نزارية	نزارية	الحسينية	الحسينية
بدادا	بدادا	فرقلس	فرقلس	جوسية	جوسية
خربة التينة	خربة التينة	صابونية	صابونية	حولية	حولية
صايد	صايد	مشروع غناية	مشروع غناية	حبوب الريح	هبوب الريح
تلدو	تلدو	باروحة	باروحة	الدوغرلية	دوغرلي
الزارة	زارة	رسم بغل	رسم بغل	غنطو	غنطو
حارات	حارات	تل كلخ	تل كلخ	ام القصب	ام القصب
حصرجية	حصرجية	باروحة	باروحة	مختارية	مختارية
تير معلي	تير معلي	زميمر	زميمر	شعبانية	شعبانية
مرج القط	غجر الغربي				

الجدول رقم 11: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حماة / منطقة مركز حماة[1]					
الاسم الحديث	**الاسم القديم**	**الاسم الحديث**	**الاسم القديم**	**الاسم الحديث**	**الاسم القديم**
عقرب	قرة خليل	طلف	طلف	الترېمسة	ترېمس
موسى الحولة	مسل حولة	حلة	حلة	حربنفسه	حربنفسه

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 18.
وقارن مع قائمة المدن والقرى والبلدات المدرجة في موقع الأمانة العامة لمحافظة حماة، موجود على الرابط: https://goo.gl/LtuZRc، [د.ت]، تاريخ المعاينة: 2018/2/25.

عاشق علي	عاشق علي	دير الفرديس	دير فرديس	جاجيه	جاجيه
جرجيسة	جرجيسة				

الجدول رقم 12: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حماة / منطقة السلمية[1]						
عثمانية	تل سنان	تل حسن باشا	عوير	مخرم تحتاني	عين النصر	قبة الهاا

الجدول رقم 13: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة حماة / منطقة مصياف[2]						
البيضاء	بيت ناطر	حوير التركمان	قرطمان	بيت اصلان	عين دابش	حرمل

الجدول رقم 14: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة اللاذقية / منطقة البايز[3]					
الاسم الحديث	**الاسم القديم**	**الاسم الحديث**	**الاسم القديم**	**الاسم الحديث**	**الاسم القديم**
صراف	صراف	غمامة	جانلي	ربيعة	غابللي
الدرة	قولجوك	الخضراء	غوك داغ	الحلوة	شران
بيت ابلق	أبلقلي	البيضاء	اغجا باير	سالور	سالور
سوده	قره بجق	جب طوروس	جب طوروس	جب	جب

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, "Suriye'de Değişimin," p. 17.

(2) Öztürkmen, Duman ve Orhan, "Suriye'de Değişimin," p. 17.
ويذكر ابن بطوطة أن قرية تيزين التي تقع حالياً إلى الغرب من مدينة حماة بأنها من قرى التركمان. انظر: ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ج1، ص90-91.

(3) Öztürkmen, Duman ve Orhan, "Suriye'de Değişimin," p. 16.

نوارة	كلز	الحياة التحتانية	اشاقي قرامنلي	الحياة الفوقانية	يوقاري قرامنلي
الكبير	كبر	الريحانية	نسيين	عطيرة	مورتلي
بيت جرداق	جردقلي	سكرية	قبقلي	شحرورة	جمران
اليمامة	يمادي	الوادي	جوقرجاق	درويشان	درويشان
السوداء تحتاني	أشاقي بلدرلي	الرسومة	يموجاك	كازاق	كازاق
بيت حميك	حميكلي	الروضة	غبره	قنطرة	قنطرة
صالدران	صالدران	قبقايا	قبقايا	غونايلي	غونايلي

الجدول رقم 15: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة اللاذقية / منطقة بوجاق[1]

الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
زنزف	زنزف	برج اسلام	برج اسلام	صليب تركمان	صليب تركمان
أم الطيور	تورنج	التميمة	تركمانلي	قسطل معاف	قسطل معاف
البدروسية	بدروس	بيت ملك	ملقلي	بيت عوان	عونلي
المحمودية	ملا محمودتلي	تفاحية تحتانية	أشاغي أململي	تفاحية فوقانية	يوقاري أململي
الريحان	جامرلي	صاراي	صاراي	شيخ حسن	فقه حسن
بيت فارس	فريزلي	الغسانية	كشيش	داغدغان	داغدغان
الميدان	ميدانجك	شاكرية	شيريت علي	غيماز	غيماز
البركي	كرن غول	بيت والي	فقه لي	الخالدية	كساجك
عيوشية	عيوشلي	البركة	جلقاملي	الذاهبة	جوقران

(1) Ibid, p. 17.

فلك	فيليك	قلابا	قلاباه	أمة	أمتلي
عسياوية	عيس بينار	بيت عرب	عربلي	بيت كونبل	كونبلي
عيساوية	عيسى بيلي				

الجدول رقم 16: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة إدلب[1]

الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
سكرية	كسرعده	سلهب	سلهب	عدنانية	فرجنية
هيتا	هيتا	مندد	مندد		

الجدول رقم 17: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة طرطوس[2]

الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
بسيتين	بسيتين	بيت أحمد ونوس	بيت أحمد فنوس	متراس	ذوق التركمان
الحميدية	حميدية				

الجدول رقم 18: القرى التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة في ريف دمشق[3]

الاسم الحديث	الاسم القديم	الاسم الحديث	الاسم القديم
المراح	قلدون	حتيتة التركمان	حتيت تركمان
بلي[4]	بلي	رحيبة	رحيبة

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, "Suriye'de DeĞiŞimin," p. 21.

(2) Ibid, p. 20.

(3) Ibid, p. 10.

(4) عن القرية انظر: العلي هيثم، بلي: القرية التي ازدهرت بسواعد الوافدين، [مرجع إلكتروني]، في موقع eSyria، موجود على الرابط: https://goo.gl/e1jo3E، تاريخ النشر: 2013/5/2، تاريخ المعاينة: 2018/2/28.

الجدول رقم 19: القرى والبلدات التركمانية أو التي سكنها التركمان في محافظة القنيطرة[1]				
السنديانة	الخشنية (بلدة شركسية)[2]	القادرية[3]	الرزانية	عين عيشة
عين القرة	ضبابية	السنديانة الجديد	عليقة	عين السمسم
المغير	عين زيوان	احمدية	كفر نفاخ	عين العلق
مومسية (قرية شركسية)[4]	مدينة البعث	الحسينية	جويزة (قرية شركسية)[5]	حفر

الجدول رقم 20: القرى والبلدات التركمانية أو التي يسكنها تركمان في محافظة درعا[6]					
بصرى	شيخ مسكين	الغارية	السهوة	انخل	الحراك
برق	نوى	الحارة	الجيزة	معربا	

(1) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 19.
قارن أيضاً: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص73، 81-82.
(2) كانت القادرية تتوسط جميع قرى التركمان في منطقة الجولان ويقع مركز رئاسة العشيرة فيها. انظر: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص81.
(3) انظر: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص193.
(4) انظر: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص193.
(5) تسمى الغسانية أيضاً. انظر: عيد محمد خير، عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان، سبق ذكره، ص194.
(6) Öztürkmen, Duman ve Orhan, “Suriye’de Değişimin,” p. 21.

الملحق 2: الأسئلة التي طرحت على من تمت مقابلته

جرى ترتيب الأسئلة التي طرحت على من تم اللقاء به عبر الإنترنت في قسمين على النحو الآتي:

القسم الأول- في سوريا

العائلة والأصل

- من أي مدينة أو قرية سورية أنت؟ هل هي تركمانية بحتة، أم مختلطة؟
- من أين والدك؟ ومن أين والدتك؟ ماذا يعملان؟
- كم عدد أفراد أسرتك؟ كيف وضعها المعيشي؟
- ماذا تعمل؟ منذ متى؟ هل تغير عملك في تركيا؟

اللغة التركمانية

- هل كنت تتكلم التركمانية في سوريا؟ في حال الإجابة بـ «نعم»، هل ما زلت تتكلم التركمانية (في محيط العائلة والأقارب أو الأصدقاء)؟
- هل يمكن أن تشرح ما يميز التركمانية عن التركية الحديثة؟
- هل كنت تشعر بأريحية حين كنت تتكلم التركمانية في سوريا؟ ما رد فعل الآخرين حولك؟

- هل تعتقد أنه من المهم أن يتكلم أبناؤك (مستقبلاً) التركمانية؟ لماذا؟

الحياة الاجتماعية

- هل في استطاعتك أن تذكر ما يميز التركمان عن غيرهم في محيطك؟

- هل يحتفظ التركمان بعادات أو تقاليد تختلف عن عادات محيطهم السوري وتقاليده؟

- هل ينتظمون على أسس عشائرية؟ ما أسماء هذه العشائر في منطقتك؟ إلى أي منها تنتسب؟

- هل يوجد مطبخ تركماني (مأكولات مميزة)؟

- فيما يخص اللباس، هل يوجد زي فلكوري تركماني مميز؟

- هل يمكن أن تصف لنا أجواء الأعراس التركمانية؟ كم يبلغ مهر العروس؟ ماذا عن وليمة العرس؟ بأي لغة كانت أغاني الحفل؟

- كيف تقيم أوضاع التركمان السوريين في منطقتك من النواحي المعيشية والاقتصادية قبل 2011؟

- هل تعرف شخصية تركمانية وصلت إلى منصب عال في الحكومات السورية؟

- كيف تصف علاقاتك/ علاقات عائلتك مع غير التركمان؟

- هل واجهت موقفاً ما في سوريا، شعرت خلاله بأن الآخر يعاملك على أساس هويتك التركمانية؟

- هل لاحظت يوماً أن أصدقاءك المقربين منك تركمان أو عرب أو من الطرفين؟

القسم الثاني- في تركيا

العلاقات مع السوريين والأتراك في تركيا

- متى غادرت سوريا إلى تركيا؟ ولماذا؟ هل يوجد سبب مباشر؟

- ما درجة شعورك بالغربة في أيامك الأولى في تركيا؟ والآن؟ ما الذي تغير؟

- كيف تقدم نفسك للأتراك؟ (على أنك سوري؟ أم تركماني جاء من سوريا؟)

- هل تشعر بأنك ند للأتراك؟ أم ضيف تُحتم عليه بعض المواقف أن يتجنب بعض المشاكل حتى ولو كان ذلك على حسابه؟

- هل تعتقد أن الأتراك يتعاطفون مع التركمان السوريين أكثر من غيرهم من السوريين؟

- كيف تصف علاقات التركمان مع باقي السوريين في تركيا؟

- في حال كنت أعزب/ عزباء (أو في حال قرر ابنك أو قررت ابنتك الزواج) هل تفضل أن يكون الشريك من عائلة تركمانية؟ لماذا؟

- بعد سنوات عدة من العيش في تركيا والتأقلم فيها من نواحي العمل والأطفال والدراسة وغيرها، هل تعتقد أنك ستعود لتعيش في سوريا إن زالت أسباب خروجك منها؟

الشأن السياسي

- برأيك، هل تحبذ السياسة التركية منح التركمان السوريين الجنسية التركية، أم تفضل عودتهم إلى سوريا مستقبلاً؟

- هل تذكر إجراءات قسرية مورست بحق التركمان في سوريا سابقاً بوصفهم تركماناً فحسب؟

- ذكر بعض المهتمين بالشأن التركماني أن «نظام البعث لم يسمح للتركمان

حتى بالغناء بأغانيهم الشعبية في بعض المناطق»[1]، إلى أي مدى يمكن القول بصحة ذلك؟ هل تذكر وجود إجراءات مشابهة؟

(1) راجع:
Oytun Orhan, “Syrian Turkmens: Political Movements and Military Structure”.
Ankara: Center For Middle Eastern Strategic Studies/ORSAM, March 2013, 20.

الملحق 3: وصف مقتضب لأهم مصادر البحث ومراجعه

أولاً- باللغة العربية

1 - المصادر العربية

- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ط4، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

من أكثر كتب التاريخ الإسلامي شهرةً. ويؤرخ ابن الأثير فيه من بدء الخلق حتى القرن الثالث عشر. يضج بذكر أخبار التركمان، وأمرائهم، وأملاكهم، وحشودهم، ومآثرهم، والأماكن التي كانوا يقطنونها، لاسيما في بلاد الشام والعراق والأناضول، كما يسجل دورهم الكبير في القتال ضد البيزنطيين، ومن ثم ضد الصليبيين إلى جانب العرب، إضافة إلى ذكر الاضطرابات التي تنشأ بين الحين والآخر جراء تعدي مجموعات منهم على إحدى المناطق أو القبائل الأخرى. ويلاحظ مما كتبه ابن الأثير أن أعداد التركمان كانت كبيرة نسبياً في زمانه.

- رفيق التميمي ومحمد بهجت: **ولاية بيروت**، مطبعة الإقبال، بيروت، 1914.

من المؤلفات المهمة والنادرة التي تحتوي معلومات غاية في الأهمية عن ساحل سوريا الطبيعية ابتداءً، موزعة على قسمين: الأول- القسم الجنوبي،

والثاني-القسم الشمالي، ويذكر الزركلي في كتابه **الأعلام** أن الكتاب قد وضع بالتركية ومن ثم تمت ترجمته إلى العربية. يحتوي القسم الثاني على معلومات مهمة عن تركمان اللاذقية، أصلهم، وعشائرهم، وعاداتهم، وظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، وبيئتهم الجغرافية، وتعدادهم السكاني، وغيرها.

- **سالنامه ولاية حلب** للعام 1324هـ (1906م).

وهي بمثابة تقويم ولاية حلب، والجريدة الرسمية فيها، والموسوعة العامة لها. وتتضمن كل ما يمكن إحصاؤه في ولاية حلب من مدن وبلدات وقرى وعدد السكان وأسماء المسؤولين والدوائر الحكومية فيها. وهي مكتوبة باللغة العثمانية مع بعض العربية. تفيد البحث في الوقوف على المنظور التاريخي لولاية حلب التي كانت تمتد ما بين وسط الأناضول إلى وسط سوريا الحالية.

2 - المراجع العربية

- سعد الدين إبراهيم: **الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي**، دار ابن رشد، القاهرة، 2018.

لم يكن مؤلف هذا الكتاب موفقاً في تعاطيه مع التركمان كإحدى الأقليات في الوطن العربي، إذ لم يتمكن من التمييز بين التركمان والشركس، ما يفيد في طرح مثال واضح عن النقص الكبير الذي يكتنف بعض الدراسات العربية التي تناولت هذا الموضوع.

- محمد خير عيد: **عيون الزمان لمن سكن الجولان من عشائر التركمان**، مطبعة تركماني، دمشق، 2004.

يتألف الكتاب من 11 فصلاً، حيث يبدأ بالتعريف بالتركمان وأصولهم، ودورهم خلال التاريخ الإسلامي، وأبرز الشخصيات التركمانية عبر التاريخ، ومن ثم ينتقل إلى التعريف بالجولان السوري جغرافياً وتاريخياً، ويتناول تاريخ الاستقرار

التركماني في الجولان وفلسطين، وصولاً إلى العهد العثماني وإقطاع الأراضي الزراعية للعشائر التركمانية، ومن ثم يتحدث عن عاداتهم وأوضاعهم الثقافية والاجتماعية، كما يتناول أهم العشائر التركمانية، والقرى التي استقرت فيها.

- محمد يوسف سواعد: **البدو في فلسطين في الحقبة العثمانية 1516-1914**، دار زهران، عمان، 2008.

يتناول الكتاب القبائل البدوية التي سكنت فلسطين المحتلة، بمن فيهم قبائل التركمان، بما يفيد تتبع الأصل التاريخي لتركمان الجولان السوري.

- سليم مطر، **جدل الهويات: عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية- صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط**، المؤسسة العربية، بيروت، 2003.

صدر هذا الكتاب بالتزامن مع العدوان الأمريكي على العراق في 2003، حيث بدأت إشكالية الأقليات والطوائف تتصاعد في العراق، ما أثار مواضيع شائكة حول تمثيل الأقليات في السلطة وعدالة المحاصصة الطائفية. وقد استعرض الباحث تاريخ التركمان وتوزعهم الديمغرافي في الشرق الأوسط، ما أفادنا في الحصول على معلومات تصب في سياق البحث.

3 - الأبحاث العربية

ثلاثة أبحاث ضمن مجلة تبين الفصلية المحكمة الصادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، خصص عددها الأول (صيف 2012) لأبحاث تناولت إشكاليات الهوية واللغة، منها:

حسن حنفي: «الهوية والاغتراب في الوعي العربي».

عبد القادر الفاسي الفهري: «لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد: نموذج تماسكي تنوّعي وتعدّدي».

عبد السّلام المسدّي: «الهوية واللغة في الوطن العربي بين أزمة الفكر ومأزق السياسة».

تفيد هذه الأبحاث في فهم إشكالية الهوية الثقافية، لاسيما لدى الأقليات اللغوية، وهو أمر مفيد لبناء سياق عام للأسئلة التي طرحها البحث خلال المقابلات الشخصية.

ثانياً- المراجع والأبحاث باللغة الإنجليزية

- Kemal Karpat, *Ottoman Population 1830-1914: Demographic and Social Characteristics,* University of Wisconsin Press, 1985.

يتناول الكتاب الخصائص السكانية والاجتماعية في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى. وتقدم الجداول المرفقة به معلومات توضح عدد سكان ولاية حلب العثمانية التي كانت تشمل أراضي شمال سوريا الحالية ووسطها، وجنوب تركيا الحالية.

- Anna Melman, “Turkic Minorities” in *The Middle East: a guide to politics, economics, society, and culture*, eds. Barry Rubin, New York, M.E. Sh`arpe, 2012.

ورقة بحثية تدرس الأقليات التركية الأبرز في الشرق الأوسط، ومن بينها التركمان في كل من إيران والعراق وسوريا.

- Hatem ETE and others, “Turkey’s 2014 Local Elections”,Ankara, Foundation for Political, Economic and Social Research/SETA, March 2014.

يتناول موقف حزب الحركة القومية المتعاطف مع التركمان السوريين أكثر من غيره من الحركات والأحزاب السياسية.

- Stephan Rosiny, “Power Sharing in Syria: Lessons from

Lebanon’s Experience”,Hamburg, German Institute of Global and Area Studies/GIGA, May 2013.

يقلل الباحث من أعداد التركمان في سوريا بصورة كبيرة، ويرى نسبتهم مع الشركس لا تتجاوز 3%. ما يفيد الدلالة على عدم دقة بعض الدراسات الأجنبية في هذا المجال.

International Crisis Group. “The Rising Costs of Turkey’s Syrian Quagmire”, Europe Report N°230, Brussels, April 2014.

يقدم معلومات عن أوضاع اللاجئين السوريين في تركيا وأماكن انتشارهم، بما فيهم التركمان.

ثالثاً- الأبحاث باللغة التركية

1- أبحاث مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط الاستراتيجية في أنقرة (Center for Middle Eastern Strategic Studies (ORSAM)):

أسس هذا المركز برنامجاً لدراسات تركمان الشرق الأوسط، ووحدة أبحاث تابعة له؛ وقد صدرت عنه تقارير عدة، وأبحاث مهمة؛ وعقد ندوات شارك فيها العديد من الباحثين المهتمين بأوضاع التركمان في كل من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وإيران، وهي منشورة في موقع أورسام الرسمي على الإنترنت، معظمها باللغة التركية والإنكليزية وبعضها بالعربية، ومن أبرز ما استفاد منه البحث:

- “Ortadoğu Türkmenleri Sempozyumu” (ندوه التركمان في الشرق الأوسط) ORSAM Tutanakları No: 35, Eylül 2014.

مجموعة من الأوراق البحثية ألقاها عدد من الباحثين المهتمين بالشأن التركماني في ندوة «التركمان في الشرق الأوسط» التي عقدها مركز أورسام ما بين 6-7 أيار / مايو 2014، وهي تلقي نظرة عامة على أوضاع التركمان في الشرق الأوسط، كما تناولت موضوع التركمان في السياسة التركية.

- Oytun Orhan, “Syrian Turkmens: Political Movements and Military Structure”, (التركمان السوريون: الحركات السياسية والهيكلة العسكرية) ORSAM Report No: 150,Ankara, Center for Middle Eastern Strategic Studies/ORSAM, March 2013.

على الرغم من تركيز هذا البحث على الجوانب السياسية والعسكرية للأزمة السورية، إلا أنه يفيد في تسليط الضوء على النشاط السياسي التركماني في تركيا وما يرتبط به من دلالات الهوية الثقافية ومفاهيمها في الخطاب السياسي التركماني.

- Ali Öztürkmen, Bilgay Duman ve Oytun Orhan, “Suriye’de Değişimin Ortaya Çikardiği Toplum: Suriye Türkmenleri” (المجتمع الذي أظهره التغيير في سوريا تركمان سوريا) ORSAM Report No: 83,Ankara, Center for Middle Eastern Strategic Studies/ORSAM, March 2013.

غني بالمعلومات عن التركمان السوريين، لاسيما من جهة توزعهم الديمغرافي في سوريا، وأسماء قراهم وبلداتهم. الباحث الرئيسي المشارك فيه هو علي أوزتركمان، وهو باحث تركماني سوري متخصص في الدراسات التركمانية.

2 - أبحاث أخرى باللغة التركية

- KORKMAZ, Cihat Burak, İLTAR, Latif. “Bayır-Bucak Türkmen Bölgesindeki Türk Varlığı Ve Bölgede Mücadele Veren Gruplar” (التواجد التركي في منطقة باير بوجاق التركمانية والمجموعات المتصارعة فيها) in 21. Century, Journal of Education and Community Education Science and Social Studies, Ankara, Volume 5, spring 2016.

يتناول هذا البحث التركمان السوريين بصورة عامة منذ استقرارهم في

سوريا قبل نحو ألف عام، ومن ثم يركز على ذكر معلومات حول القرى والبلدات التركمانية في منطقة باير بوجاق، ويقدم في النهاية معلومات حول المجموعات المسلحة التي في تلك المنطقة.

رابعاً – مقابلات عبر الإنترنت (مرتبة حسب تاريخ إجرائها)

- ياسين درمش: طالب بكالوريا يعيش في إسطنبول، تركماني من ريف حلب، من مواليد قرية راعل 2000 (تمت المقابلة معه بتاريخ 2018/1/20 عبر خدمة الفيديو في الفيس بوك).

- أحمد ويس: معلم لغة تركية ومترجم، يعيش في إسطنبول، تركماني من ريف حلب، مواليد مدينة الباب 1990، درس الأدب التركي في حلب (تمت المقابلة بتاريخ 21 /1/ 2018 عبر خدمة الفيديو في الفيس بوك).

- عماد أيوب: يعمل في قطاع الإنشاءات والبناء، يعيش في إسطنبول، من تركمان الجولان المحتل، مواليد 1967 (تمت المقابلة معه بتاريخ 2018/2/3 عبر خدمة الفيديو في الفيس بوك).

- رامي أيوب: طالب جامعي، يعيش في إسطنبول، من تركمان الجولان، مواليد دمشق 1996 (تمت المقابلة بتاريخ 2/3 /2018 عبر خدمة الفيديو في الفيس بوك).

- صالح فاضل صالح: مدير ومؤسس عدد من المدارس في الإمارات وتركيا، رجل أعمال ذو اهتمامات سياسية منها عضوية اللجنة الاستشارية لتركمان سوريا، من تركمان في ريف حلب الشمالي، مواليد قرية تركمان بارح 1958، يحمل شهادة ماجستير في الدراسات الإسلامية (حديث هاتفي أجري بتاريخ 3/4/ 2018 إضافة إلى مداخلات عبر خدمة الرسائل الصوتية في الواتس آب).

- أمينة الشيخ: متخصصة اجتماعية في إحدى المنظمات الإغاثة في إسطنبول، أمها تركمانية ووالدها عربي؛ وزوجها براء الشهابي، أستاذ رياضيات في مدارس السوريين في إسطنبول، عربي، عاش سابقاً في مدينة الباب حيث كان له أصدقاء تركمان فيها (حديث هاتفي أُجري بتاريخ 2018/5/10 عبر خدمة الواتس آب).